IUGJIS
Vol 27, No 2, 2019, pp 180 - 207

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2018-02-26)، تاريخ قبول النشر (2018-03-20)

التّرتيب الزّمنيّ للحديث

د. نماء محمد البنا [1]،*

[1] قسم أصول الدين/ الجامعة الأردنية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: nmbanna@gmail.com

الملخص:

تناولت هذه الدّراسة مسألة ترتيب الأحاديث النبويّة ترتيبًا زمنيًّا، وبيّنت الدّراسة المناهج التّي يمكن اعتمادها لهذا التّرتيب الزّمنيّ، كما أنّها وقفت على بعض فوائد التّرتيب الزّمنيّ للرّوايات الحديثيّة. وقد تطرق البحث للقرائن التّي يمكن الاستعانة بها لترتيب الرّوايات زمنيًّا.

وقد أظهرت الدّراسة إمكانيّة ترتيب الرّوايات زمنيًّا لكن بشكل عام وليس بشكل دقيق، وأنّ نسبة الرّوايات التّي يمكن تحديد زمنها يقينًا بدقّةٍ هي نسبةٌ ضئيلةٌ جدًا لا تتعدى 2.4%، وأن ما يقارب 49% تعدّ أحاديث مطلقةً وعامةً لا يسهل تحديد زمنها بدقّةٍ، وأنّ ما يقرب من 50% يمكن تحديدها تحديدًا عامًّا. وخلصت الدّراسة إلى أنّ هذا الأمر مقصودٌ وذو دلالةٍ ؛لأنّ من أهمّ أدوار السّنّة النّبويّة أنها مبيِّنةٌ للقرآن الكريم، ولذا ينبغي أنْ تصلح نصوصها لكلّ زمانٍ ومكانٍ كما القرآن الكريم. وبيّنت الدّراسة أنّه يمكننا القيام بترتيبٍ عامٍ للأحاديث مستخدمين عددًا من القرائن.

كما طرحت الدّراسة نماذج لمرويّاتٍ حديثيّةٍ يُمكن أنْ تضيف معلوماتٍ لأحداث السّيرة النّبويّة، ونماذج لما يمكن أنْ ترفده الرّوايات الحديثيّة للسّيرة النّبويّة.

كلمات مفتاحية: التّرتيب الزّمنيّ للحديث، السّيرة النّبويّة، الأحاديث النّبويّة.

The chronological order of Ḥadiĭh

Abstract

This study deals with the question of the arrangement of the Prophet's Hadiths in chronological order. The study shows the methods that can be adopted for this chronological order. It also emphasized some of the benefits of chronological order of Hadith narratives. The research also discussed the presumptions that can be used to arrange Hadith chronologicaly.

The study showed the possibility of chronological order, but in general and not accurately, and that the proportion of Hadiths that can be determined accurately is a very small percentage does not exceed 2.4%, and that 49% is absolute and general talk is not easy to determine the exact time, and 50% Can be identified in general terms. The study also put forward models of Hadith narratives that can add information to the events of the Prophet's biography and models of what the Hadith narratives of the prophetic narration may suggest.

Keywords: chronological order of the Hadith, biography of the Prophet, tributaries of the Prophet's biography, Islam, Prophtic Traditions,

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيّدنا محمّد قائد الغرّ المحجّلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فيعدّ الحديث النّبويّ الشّريف نبعًا تشريعيًا جدّ مهم في الشّريعة الإسلاميّة، حتّى احتلّ المرتبة الّتي تلي الكتاب الإلهيّ المقدّس المتضمن كلام الله الخالق، وذلك أنّ المسلمين يؤمنون عقيدةً أنّ الحديث النّبويّ هو وحيٌ أيضًا استنادًا لما جاء في القرآن من قول الله –عزّ وجلّ–: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم 1-4].

وبناءً عليه اهتمّ المسلمون بشكلٍ عامٍّ وعلماؤهم بشكلٍ خاصٍّ بالحديث النّبويّ وأولوه منزلةً مرموقةً، حيث حفظوه عن ظهر قلب، ورووه ونقلوه جيلًا بعد جيلٍ، وكتبوه ودوّنوه، وتحرّوا الدقّة في النّقل والتّثبت في الرّواية والكتابة، وبحثوا المسائل الحديثيّة المتعلقة بالمتن أو الإسناد أو الرّجال منذ عهد الصّحابة، بدأ من التّثبت في المتن، وتطوّرت في عهد التّابعين، ثمّ فيما بعدهم إلى البحث عن الإسناد ورواته وشروطه وجرحه وتعديله وغير ذلك[1]. ويمكن اعتبار القرنين الثّاني والثّالث قرون التّفوق والإبداع التّصنيفيّ في الحديث النّبويّ، ولا أدلّ على ذلك أنّ أهمّ كتب الحديث والتّي تسمّى الكتب السّتّة قد صُنّفت في القرن الثّالث الهجريّ بالإضافة إلى غيرها كثير من المسانيد والموطّآت[2].

إلّا أنّ أبرز طرق التّصنيف للحديث النّبويّ طريقتان رئيستان؛ التّصنيف على الرّواة والمسمّاة "المسانيد" وقريبًا منها المعاجم وأحد نوعيّ الأجزاء الحديثيّة، والتّصنيف على الموضوعات والمسماة "الجوامع" ومنها السّنن والموطّآت.

يحاول هذا البحث دراسة منحى جديد لتصنيف الرّوايات الحديثيّة وذلك باعتماد البعد الزّمنيّ، بمعنى دراسة مدى القدرة على ترتيب الأحاديث والمرويّات ترتيباً زمنيّاً تبعًا للوقت الّذي قيلت فيه، أو عُملت، أو أُقرّت، والوقوف على ثمرة هذا التّرتيب وجدواه.

مشكلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التّالية:

- هل يمكن أنْ نرتّب الرّوايات الحديثيّة ترتيبًا زمنيًّا؟! بمعنى؛ هل يمكن إيجاد تصنيف ثالث للحديث وهو تصنيف الحديث باعتبار الزّمن؟!
- وهل هناك فائدةٌ حقيقيةٌ من ترتيب الأحاديث ترتيبًا زمنيًّا؟
- ما المعيقات للتّرتيب الزّمنيّ للحديث؟!.

أهمّية البحث:

تظهر أهمّية البحث في:

- إلقاء الضّوء على مقاربةٍ جديدةٍ لطريقة ترتيب الحديث النّبويّ.
- بيان قرائن معينةٍ في ترتيب الأحاديث زمنيًّا.
- تزويد بعض العلوم الشّرعية بمادةٍ جديدةٍ لم تكن موجودةً مثل تزويد السّيرة بأحداث وتفاصيل قد تثريها.

أهداف البحث:

(1) الجوابي، محمد طاهر، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبويّ الشريف، تونس: مؤسسات عبد الكريم عبد الله، 1986م، ص70.

(2) للمزيد من المصنفات في الحديث ينظر: الخطيب، محمد عجاج، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ط19، مؤسسة الرسالة، 2001م، ص 169– 226.

يهدف البحث إلى:

- محاولة إعادة ترتيب مروياتٍ جاءت في الرّوايات الحديثيّة زمنيًّا.
- الوقوف على طرق التّرتيب الزّمنيّ للرّوايات الحديثيّة.
- معرفة فوائد التّرتيب الزّمنيّ ومعيقاته.

محدّدات الدّراسة:

لا يمكن تغطية جميع الرّوايات الواردة في الحديث– فهذا البحث قد يكون نواةً لرسالةٍ علميّةٍ تتناول الموضوع بتوسّعٍ– لذلك تمّ اعتماد كتاب الأدب من صحيح البخاريّ أنموذجًا للدّراسة في مرحلةٍ من البحث، كما اعتمد الباحث مرويّات الحديبية في مرحلة أخرى.

وقد جاءت هذه الدّراسة في مقدمةٍ وأربعةِ مطالب:

المطلب الأوّل: ترتيب الأحاديث زمنيًّا حديثًا حديثًا

المطلب الثّاني: ترتيب روايات حدث معيّن زمنيًّا

المطلب الثّالث: ترتيب مسألةٍ معينةٍ وتطوّرها زمنيًّا

المطلب الرّابع: قرائن التّرتيب الزّمنيّ للرّوايات

المطلب الخامس: فوائد التّرتيب الزّمني للرّوايات ومعيقاته

وبشكلٍ عامٍّ فإنّ الدّارس لعلوم الحديث يعلم أنّ الزّمن بشكلٍ عامٍّ عاملٌ جدّ مهمّ في علم الحديث بشتّى صوره، وأنّ هناك علومًا كاملةً في الحديث تعتمد بصورةٍ رئيسةٍ على الزّمن، مثل: النّاسخ والمنسوخ، واتصال السّند، والتقاء التّلميذ شيخه، أو بصورةٍ جزئيّةٍ مثل: علم مختلف الحديث فقد يوظّف الزّمن لحلّ التّعارض الواقع، وغيرها كثيرٌ. إلّا أنّه يمكن الإفادة بصورةٍ أكبر من ترتيب الأحاديث زمنيًّا في السّيرة النّبويّة خصوصًا والوقوف على بعض دقائق الأحداث، كما أنّه يساهم في حلّ بعض الإشكالات في فهم الأحاديث إذا استطعنا تنزيل الحديث تراتبيًّا تبعا لزمن صدوره أو وقوعه.

المطلب الأوّل: ترتيب الأحاديث زمنيًّا حديثًا حديثًا

إنّ المتصدّي لعملية ترتيب الأحاديث زمنيًّا يمكنه أنْ يسلك مناهج متعدّدة لهذا التّرتيب، ومن ذلك ترتيب الأحاديث حديثًا حديثًا، وأعني هنا إعادة ترتيب الأحاديث الواردة في الجوامع أو المسانيد أو غيرهما من المصنّفات زمنيًّا حديثًا حديثًا؛ فمثلًا ممكن تناول كتاب الأدب أو الأطعمة أو غيرهما من كتب الجوامع والسّنن، أو نأخذ مسندًا كاملًا ونرتّب مروياته كأنْ نتناول مسند جابر بن عبد الله مثلاً ونرتّب الأحاديث التي فيه تبعًا للحدث الّتي حصلت به، أو المقولة الّتي ذكرت به، أو تبعًا لمحتواه أيًّا كان.

وقد قام الباحث باستقصاء الأحاديث الّتي جاءت في كتاب الأدب في صحيح البخاريّ، ومحاولة تطبيق التّرتيب الزّمنيّ للرّوايات فيه تطبيقًا عمليًّا على كتاب الأدب في صحيح البخاري، ووجد أنّ تحديد الزّمن بدقّةٍ لكلّ حديث جدّ عسير وخلص إلى التّالي:

عدد الأحاديث في الكتاب **تقريبًا** 248 حديثًا وقد يزيد وينقص من طبعةٍ لأخرى، وعند محاولة ترتيبها زمنيًّا حديثًا حديثًا خلصت إلى أنّها تنقسم إلى أصناف ثلاث:

- **الصّنف الأوّل** أحاديث لا يمكن تحديد وقتها بدقّةٍ من خلال معطيات متنها فهي "**أحاديثٌ مطلقةٌ**"، وجلّ ما يمكن الاعتماد عليه هو الزّمن الّذي عاشه الصّحابيّ راوي الحديث وهو مسلم إلى وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلم، فيكون الصّحابيّ هو

المحدّد فقط لهذه الأحاديث. حتّى الأحاديث المرويّة عن الصّحابة ولها حكم المرفوع وهو ما يطلق عليه بعلم الحديث الموقوف لفظًا المرفوع حكمًا تخضع لذات الفترة الزّمنيّة المذكورة آنفًا.

ومثال هذا الصّنف ما رواه جرير بن عبدالله عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[1]، فمضمون متن الحديث لا يحوي أيّة قرينة تساعد في تحديد زمن قول الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– له، وبالتّالي لم يبق لنا إلّا معرفة وقت إسلام راوي الحديث وهو الصّحابيّ جرير بن عبد الله، وعند الرّجوع إلى ذلك نجد أن العلماء اختلفوا في زمن إسلامه حيث ذكر ابن حجر عنه أنّه قال: لما بُعث النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلم أتيته فقال: «ما جاء بك؟» . قلت: جئت لأسلم، فألقى إليّ كساءه، وقال: «إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه»[2].

ثمّ قال ابن حجر: "جزم ابن عبد البرّ[3] عنه بأنّه أسلم قبل وفاة النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بأربعين يومًا وهو غلط، ففي الصّحيحين عنه أنّ النّبيّ –صلّى اللّه عليه وسلّم– قال له: «استنصت النّاس في حجّة الوداع»[4]. وجزم الواقديّ[5] بأنّه وفد على النّبيّ– صلّى اللّه عليه وسلّم –في شهر رمضان سنة عشر، وأنّ بعثه إلى ذي الخَلَصَة[6] كان بعد ذلك، وأنّه وافى مع النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم حجّة الوداع من عامه. وفيه عندي نظر، لأنّ شريكًا حدّث عن الشّيبانيّ[7] عن الشّعبيّ[8] عن جرير، قال: قال لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «إنّ أخاكم النّجاشيّ قد مات ... الحديث » أخرجه الطّبرانيّ[9]، فهذا يدلّ على أنّ إسلام جرير كان قبل سنة عشر، لأنّ النّجاشيّ مات قبل ذلك"[10].

وعند البحث عن قرائن لإسلام جرير وقفت على روايةٍ عند الطّبرانيّ وقد سئل جَرِيرٌ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ:" كُنَّا نَمْسَحُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، قُلْنَا: أَقَبْلَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ أَوْ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَسْلَمْتُ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ"[11] ويؤكّد ذلك ما جاء عند مسلم عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: بَالَ جَرِيرٌ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقِيلَ: تَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ». قَالَ الْأَعْمَشُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ، كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ»[12]. وعند الرّجوع لزمن نزول المائدة نقف على أنّها نزلت بعد الحديبية بمدّةٍ حيث يقول ابن عاشور: "وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ، رُوِيَ أَنَّها نَزَلَتْ مُنْصَرَفَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، بَعْدَ سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ، فَيَكُونُ نُزُولُهَا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ بِمُدَّةٍ[13]". ثم وقفت على روايةٍ ثانيةٍ عند

(1) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، 10/8.

(2) رواه القزويني، ابن ماجه (273هـ)، سنن ابن ماجه، ك الأدب، باب: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، حسنه الأرناؤوط وقال: سند ابن ماجه ضعيف. 660/4.

(3) يشير إلى ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب حين قال:" كان إسلامه في العام الذي توفي فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. وقال جرير: أسلمت قبل موت رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ بأربعين يومًا ". ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (1/ 237).

(4) يقصد الحديث الذي رواه الشيخان منْ حديث جَرِيرٍ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». البخاري، صحيح البخاري، ك العلم، باب: الإنصات للعلماء 35/1. والنيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ك الإيمان باب "لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، 81/1.

(5) لم أقف على كلام الواقدي في كتابه المغازي.

(6) الخَلَصَة: هو بيت أصنام كان لدوس، وخثعم، وبجيلة، أحرقه جرير بن عبد الله حين بعثه النّبيّ عليه السلام لذلك، وهدمه. وقيل: كان يسمّى الكعبة اليمانية، وكان على أربع مراحل من مكة بالعبلاء؛ ويضاف إليه ذو. وقيل: ذو الخلصة اليوم عند مسجد تبالة. القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، 1/ 478.

(7) هو أبو إسحاق الشّيبانيّ، واسمه سليمان بن أبي سليمان، ثقة من كبار أصحاب الشعبيّ. المزّي، تهذيب الكمال، 444/11– 448.

(8) الشّعبيّ، عامر بن شرحبيل أبو عمرو الكوفيّ، من كبار فقهاء التّابعين ، ينظر: المزّيّ، تهذيب الكمال، 28/14–40.

(9) ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ص342، ح:2349، والحديث صحيح، وإسناد الطبراني ضعيف جدّا، فيه يحيى الحمّانيّ وهو متروك.

(10) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 1/ 582.

(11) الطبراني، المعجم الكبير، والحديث صحيح وإسناد الطبراني ضعيف، 268

(12) مسلم، صحيح مسلم، ك الطهارة، باب المسح على الخفين، 1/ 272.

(13) ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، 69/6.

البخاريّ عَنْ الصّحابيّ ذاته، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ» وَهُوَ نُصُبٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَّةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنْ أَحْمَسَ[1] مِنْ قَوْمِي، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَانْطَلَقْتُ فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَوْمِي فَأَتَيْتُهَا فَأَحْرَقْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا مِثْلَ الجَمَلِ الأَجْرَبِ، فَدَعَا لِأَحْمَسَ وَخَيْلِهَا"[2].

إذن فقد هدم جرير ذي الخَلَصَة بعد العزّى واللّات وقد ذكر الواقديّ أنّهما هدمتا سنة 8 للهجرة[3]، فتكون روايته للحديث ما بين السنة 8 ه ووفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في أوائل سنة 11هـ، إذن يتبيّن ممّا ذكرنا أنّ جريرًا قد تأخّر إسلامه –مع اختلاف العلماء في تحديده بدقّةٍ– مع صعوبة البحث عن مؤشّراتٍ لتحديد تاريخ إسلامه بدقّةٍ.

ومع ما ذكرنا إلّا أنّه من الأهمية بمكان أنْ نذكر أنّ كلّ ما ذكرناه **ليس يقينًا في تحديد زمن الرّواية هنا**، لأنّنا حتى لو علمنا تاريخ إسلامه فقد يكون رواه عن صحابيّ سمعه من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قبل إسلام جرير، لأنّ الصّحابة كانوا يروون عن بعض وقد لا يذكرون الصّحابيّ الّذي سمعوا منه وهذا مقبولٌ في علم الحديث وهو ما يطلق عليه كما ذكرت سابقًا مرسل الصّحابيّ، بل لا يوجد ما يفيدنا إنْ كان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قد قال الحديث في مكّة أم في المدينة لأنّ موضوعه محتملٌ لعموميّته.

كما أنّ هناك أمرًا آخر وهو "تعدّد رواية أو قول أو فعل أو تقرير" الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للحديث، فالحديث العامّ –مثل هذا– قد يكون الرّسول قاله في أكثر من زمانٍ، بل لعلّه قاله في أكثر من مكانٍ، أو لأكثر من شخصٍ أو حادثةٍ، لعموميّة الفائدة الّتي يمكن استخدام الحديث لها ولأنّه يرسّخ قاعدةً أخلاقيّةً شرعيّةً عامّةً.

والملاحظ أنّ الأحاديث الّتي **لا يمكن تحديد وقتها** إلّا من خلال زمن إسلام الصّحابيّ الرّاوي، يغلب عليها التّقعيد العام، وهذه فائدةٌ جوهريّةٌ أعتقد أنّها مقصودةٌ لذاتها شرعيًّا، حتّى لا يقيّد القارئ لها أو المستفيد من مضمونها بحالٍ معيّنٍ أو زمنٍ محدّدٍ أو حدثٍ بذاته بل هي مطلقةٌ لا تحدّد بزمنٍ أو حالٍ أو مكانٍ أو شخصٍ أو حدثٍ، وهذا يتوافق مع وظيفة السّنّة النّبويّة الأساسيّة وهي أنّها مبيّنةٌ وشارحةٌ للقرآن الذي يصلح لكلّ زمانٍ ومكانٍ ولكلّ الأحوال.

– **الصّنف الثّاني** أحاديث يمكن تحديد وقتها بصورة عامّة تبعًا لقرينةٍ عامّةٍ وردت في الحديث، مثل موضوع الحديث الرّئيس، فإنْ كان الحديث يتناول إرشادًا عامًّا يُمكن الوقوف على "**تحديد عامٍّ**" لزمنه ومن ثم نستطيع أنْ نضع تحديدًا زمنيًّا عامًّا أو مؤشّرًا كليًّا له.

ومثاله ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[4]، فالتّحديد العامّ له أنّه في العهد المدنيّ وذلك لذكر المسجد في المتن، ولا يمكن الوقوف على تحديدٍ أكثر تفصيلًا تبعًا لمعطيات الرّواية المذكورة عند البخاريّ، لأنّ أبا هريرة كما ذكرت سابقًا قد يروي عن غيره من الصّحابة، إلا أنّ الفرق عن الصّنف السّابق أنّه حتّى لو كان مرسل صحابيّ فلدينا قرينةٌ عامةٌ في المتن تشير إلى أنّه كان في العهد المدنيّ أو بعد الهجرة بعد بناء المسجد لأنّ الحادثة مبنيّةٌ على فعل الأعرابيّ–وهو البول– في المسجد.

(1) أَحْمَس هي قبيلة من بجيلة. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7/ 150. وقيل هو لقب قريش وكنانة وجديلة. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 532/3.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ك الدعوات، باب قول الله تعالى (وصلِّ عليهم) التوبة: 103، ومن خصَّ أخاه بالدعاء دون نفسه 73/8.

(3) الواقدي، المغازي، 874/3.

(4) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب قول النبي يسروا ولا تعسروا، 30/8.

كما أنّ تخريج الحديث والاستعانة بشروحه يمكن أنْ يعطينا تحديدًا أكثر تضييقًا للحديث، فقد ذكر ابن حجر أنّ الرّجل هو ذو الخويصرة[1]اليمانيّ[2]، وهذا يتيح لنا معرفة اسم الشّخص أو المكان أو القبيلة وهذا يساعد في تحديد عامٍّ للحديث إلّا أنّنا في مثالنا السّابق وهو الصّحابيّ الّذي بال في المسجد وعند الرّجوع لترجمته لم نستطع الوقوف إلّا على اسمه ولا يوجد ذكرٌ لسنة إسلامه، وجلّ ما تذكره كتب التّراجم أنّه الأعرابيّ الّذي فعل تلك الفعلة[3]، وما جاء عند ابن حجر أنّه ذاته الأعرابي الّذي دعا أنْ يرحمه الله والرّسول صلّى الله عليه وسلّم فقط حيث يقول ابن حجر:" أَنَّهُ صَلَّى ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا فَلَمْ يَلْبَثْ أن بَالَ فِي الْمَسْجِدِ"[4].

وعليه فيبقى التّحديد الزّمنيّ عامًّا وهو بعد بناء المسجد وقبل وفاة الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، لكن **نستطيع أنْ نقول يقينًا** أنّ الحديث في آداب التّعامل مع المخطئ أو الآداب العامّة كانت في العهد المدنيّ فالحديث كان يقيناً في المدينة بعد بناء المسجد يعني زمنيًّا بين السّنة 13 للبعثة والسّنة 11 للهجرة.

- **الصّنف الثّالث** أحاديث يمكن تحديد زمنها باعتبار قرينةٍ إضافيةٍ **أكثر تحديدًا** لما سبق من عموم، فهي **أكثر تحديدًا** من سابقتها وهي الأحاديث التي يوجد بها قرينةٌ إضافيةٌ يمكن أن تعطينا إشارةً لتحديد زمنيّ، ومثالها ما رواه البخاريّ منْ حديث عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[5] مِنْ نَارٍ، لَوْلاَ أنا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[6]. فالإشارات المعينة على التّحديد الزّمنيّ هنا:

- أوّلًا: أنّ الحدث أو النّقاش حصل شخصيًا مع العبّاس وبالتّالي فهو ليس مرسل صحابيّ فنستطيع أنْ نقول **يقينًا** أنّه بعد إسلام العبّاس لقوله "يا رسول الله".
- ثانيًا: أنّ الحديث بعد وفاة أبي طالب وهو حدثٌ معلومٌ في كتب السّيرة أنّه في السّنة العاشرة من البعثة، لقول ابن هشام:" وَذَلِكَ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ[7]"، فهذا محدّد آخر.
- وثالثًا: أنّ الرّاوي لها هو العبّاس بن عبد المطّلب وهو عمّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ولم يُظهر إسلامه إلّا قبيل فتح مكّة حيث يذكر ابن حجرٍ ذلك فيقول:" يقال: إنّه أسلم، وكتم قومه ذلك، وصار يكتب إلى النّبي صلّى اللّه عليه وسلم بالأخبار، ثم

(1) لا يوجد له في كتب الصحابة إلا اسمه "ذو الخويصرة اليماني" ويوردون تحت اسمه ما ذكرته أعلاه من رواية. قيل في ذي التديّة أنه ذو الخويصرة، وقيل في ذي الخويصرة 1إنّه حرقوص. ابن حجر، الإصابة، 2/ 145.

(2) العسقلاني، ابن حجر(ت 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ك الطهارة، باب صب الماء، 323/1.

و العسقلاني، ابن حجر (ت 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، 343/2.

(3) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 215/2.

(4) ابن حجر، فتح الباري، 323/1.

(5) بمعنى طبقة رقيقة من النار، فالضحضاح من الماء هو مَا رق من المَاء على وَجه الأَرْض. ينظر الدينوري، غريب الحديث، 371/2.

(6) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب كنية المشرك، 46/8.

(7) ابن هشام، السيرة النبويّة، 406/1.

هاجر قبل الفتح بقليل، وشهد الفتح، وثبت يوم حنين"[1]، معنى ذلك أنّه على الغالب تحدّث بهذا مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عند رؤيته له أي في السّنة الثّامنة للهجرة.

وعليه فالحديث الّذي بين أيدينا يبيّن أنّ الحوار بين العبّاس وبين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس مراسلةً بل شفاهًا لصيغة الخطاب الّتي وردت به، فيكون هذا الحديث قد تمّ بين السّنة 8ه ووفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. وذلك **يقينًا** وليس احتمالًا لأنّ العبّاس لم يهاجر قبل ذلك على افتراض أنّه أسلم وكتم إسلامه.

- **الصّنف الرّابع** من الأحاديث وهي الّتي تحتوي ضمن متنها تحديدًا أكثر وضوحًا للزّمن، وتختلف قدرتنا على تحديد الدّقّة الزّمنيّة تبعًا لما يحويه الحديث من قرائن، فأحيانًا تمتدّ الفترة الزّمنية إلى حقبةٍ[2] وأحيانًا إلى حدثٍ وأحيانًا إلى سنتين أو ثلاثةٍ وغيرها كما سبق وذكرت تبعًا لما نستخلصه من الحديث من دلالات وإشارات.

ومثاله ما رواه البخاريّ في صحيحه بسنده إلى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ[3]، وَأُسَامَةُ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي حَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَا حَتَّى مَرَّا بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ، وَفِي المُسْلِمِينَ عَبْدُ اللَّهِ بن رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ[4] الدَّابَّةِ، الدَّابَّةِ، خَمَّرَ ابن أُبَيٍّ انفَهُ بِرِدَائِهِ وَقَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القرآن، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ، لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشِنَا فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بن عُبَادَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ – يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بن أُبَيٍّ – قَالَ كَذَا وَكَذَا» فَقَالَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنتَ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالحَقِّ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْكَ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ وَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ. فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 186] الآيَةَ. وَقَالَ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: 109] فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَوَّلُ فِي العَفْوِ عَنْهُمْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهَا مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ الكُفَّارِ وَسَادَةِ قُرَيْشٍ،

(1) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 511/3.

(2) الحقبة مدّة طويلة من الزمن. ينظر قاموس المعاني
/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AD%D9%82%D8%A8%D8%A9

(3) الْقَطِيفَةُ دِثَارٌ مخمل جَمْعُهَا قَطَائِفُ وَقُطُفٌ، وَالْفَدَكِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى فَدَكٍ بَلْدَةٍ مَعْرُوفَةٍ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ مِنَ الْمَدِينَةِ. النووي، المنهاج شرح صحيح صحيح مسلم بن الحجاج، 157/12.

(4) هو ما ارتفع من غبار حوافرها كما قال النووي في شرحه على صحيح مسلم. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 158/12.

فَقَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مَنْصُورِينَ غَانمِينَ، مَعَهُمْ أُسَارَى مِنْ صَنَادِيدِ الكُفَّارِ، وَسَادَةِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايِعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَأَسْلَمُوا"[1].

هذا مثالٌ واضحٌ لحديثٍ يحوي تفاصيل عديدةٍ ولكنّه غير موجودٍ في كتب السّيرة، فيُمكن أنْ نعدّه من الأحاديث الّتي يمكن ترتيبها زمنيًّا وتشكّل رافدًا لكتب السّيرة فيما تحويه من معلومات، فمن خلاله نستطيع الوقوف على عددٍ من الإضافات المعرفيّة في السّيرة مثل:

- زيارة الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- سعدًا -رضي الله عنه- لعيادته في مرضه.
- مرافقة أسامة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم في تلك الحادثة.
- أنّ ذلك كان قبل معركة بدر والّتي كانت في السّنة الثّانية للهجرة.
- طبيعة مجالس النّاس في المدينة؛ فقد جمع مجلسهم أهل الكتاب واليهود وعبدة الأوثان مع المسلمين، وفي ذلك دلالةٌ قويةٌ على ما يمكن أنْ يكون عليه وضع المسلمين مع غيرهم من المواطنين مختلفي الدّيانات.
- سلام الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عليهم وفيهم من ذكرنا.
- طبيعة دعوة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لأهل المدينة بكلّ أطيافها، وكيفيّة استثماره لأيّ فرصةٍ قد تكون مجالًا خصبًا لتبليغ دعوته.
- طبيعة ردود هؤلاء على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والوقوف على معاناته صلّى الله عليه وسلّم معهم، فالحادثة تبيّن أنّ ابن أُبيّ رفض الاستماع مع رفضه أنْ يغشاهم في مجالسهم ليقول ما يقول.
- مكانة ابن أُبيّ فقد اكتفت كلّ الفئات غير المسلمة بإجابته، وهذا دليلٌ على مكانته عندهم، كما تظهر تلك المكانة من كلام سعد بن عبادة رضي الله عنه وأنّه كان يتجهّز للملك.
- طبيعة شخصية الصّحابيّ الجليل سعد بن عبادة من خلال إجابته للرّسول صلّى الله عليه وسلّم.
- عفو وصبر وتحمل الجيل الفذّ من الصّحابة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك في قوله: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى.

أما بالنّسبة للزّمن؛ فالحديث بحيثيّاته يحدّد الفترة الزّمنيّة الّتي قيل فيه وهو بعد الهجرة وقبل وقعة بدر، وبدقّةٍ أكبر قبيل وقعة بدر لما جاء أنّه لم يشهد بدرًا وكان يحثّ النّاس عليها وأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم شهد له أنّه كان حريصًا عليها وإنّما منعه المرض[2]، كما يبيّن الحديث أنّ ذلك في بدء مجيء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للمدينة لطبيعة كلام سعد بن عبادة رضي الله عنه للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ويبيّن تاريخ وزمن إسلام ابن أُبيّ وأنّه بعد انتصار المسلمين ببدر.

وأضيف هنا مثالًا يبيّن اختلاف الزّمن المحدّد وذلك كالرّواية الّتي تبيّن أنّ أمّ أسماء بنت أبي بكرٍ -رضي الله عنها- لم تكن مسلمةً خلال سنوات صلح الحديبية والّتي تقريبًا استمرت من سنة 6هـ لـ 8هـ وأنّ أسماء كانت متزوجةً الزّبير في ذلك الوقت فقد جاء عند مسلم من

(1) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب كنية المشرك، 45/8.

(2) يذكر ابن سعد ذلك فيقول:" وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا، وَكَانَ يَتَهَيَّأُ لِلْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ وَيَأْتِي دُورَ الْأنصَارِ يَحُضُّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ فَنُهِشَ قَبْلَ ان يَخْرُجَ فَأَقَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم: «لَئِنْ كَانَ سَعْدٌ لَمْ يَشْهَدْهَا لَقَدْ كَانَ عَلَيْهَا حَرِيصًا»" ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 614/3.

حديث أَسْمَاءَ بِنْت أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»[1].

مما سبق ذكره، وبناء على دراسة استقرائية لأحاديث كتاب الأدب في صحيح البخاريّ، أمكن الباحث الوقوف على نوعية الأحاديث التي وردت فيه تبعا للتقسيم الذي ذكره سابقًا، إلا أنّني سأدمج النّوعين الأوّليان لتقاربهما الكبير في التّصنيف وقد خرج الباحث بالنّتيجة التّالية:

نوع الأحاديث	عدد الأحاديث	النّسبة المئويّة مقرّبة%
أحاديث مطلقة وعامة	122	%50
أحاديث تحوي قرينةً أو أكثر جعلتها أكثر تحديدًا	120	%48
أحاديث محدّدة زمنيًّا	6	%2

تشير الأرقام إلى أنّ هناك تقاربًا كبيرًا وعاليًا بين عدد الأحاديث المطلقة العامّة وبين عدد الأحاديث الأكثر تحديدًا؛ حيث بلغت كلٌّ منهما قرابة 50%. وأنّ عدد الأحاديث "المحدّدة زمنيًّا" لم يتجاوز السّتة أحاديث من أصل 248 حديثًا، وهذا ما جعل نسبتها جدًّا منخفضة حيث بلغت 2.4% وهي نسبة ضئيلة جدًا.

ولعلّ في هذا إشارة ليست مطلقةً ولكن مهمّة أنّ الكمّ الأكبر من الأحاديث الّتي تناقلها المسلمون بشكلٍ عامٍّ وعلماء الحديث بشكلٍ خاصٍّ هي الأحاديث الّتي تغطّي فضاءً واسعًا من القواعد أو الأخلاق أو الآداب أو الأحكام أو الفوائد أو التّشريعات أو المناقب، وأنّ ما ذكر فيها من تحديد زمنيّ لم يذكر لذاته إلّا في النّزر اليسير جدًّا، وأنّ مهمّة الحديث هي إسقاطه على أحوال وأوضاع عامّةٍ وتفعيله في حياة البشر بغضّ النّظر عن ألوانهم وأجناسهم، وأنّ ما جاء به من قواعدَ وضوابطَ وأخلاقَ وآدابٍ وتشريعات هي في غالبها المطلق يصلح لكلّ زمانٍ ومكانٍ وأُناسٍ. ويظهر لي هنا إعجازٌ من نوع خاصٍّ في الحديث النّبويّ منبثق من إعجاز كونه وحيًا وهو صلاحيّة موضوعاته لكلّ زمانٍ وعدم تقيّد أحكامه بزمان صدوره.

المطلب الثّاني: ترتيب "روايات حدثٍ معيّنٍ" زمنيًّا

منهج ثانٍ في ترتيب الأحاديث وهو لا يعتمد على أخذ الأحاديث روايةً روايةً، بل يكون التّرتيب الزّمنيّ للحديث هنا باختيار حدثٍ بعينه وجمع كلّ المرويّات الحديثيّة المتعلّقة به، ثمّ الإفادة من هذه المرويّات كرفد كتب السّيرة بما لم يذكر بها منه، حيث نستطيع الإفادة من التّرتيب الزّمنيّ لحادثةٍ معيّنةٍ وردت في كتب الحديث متفرّقةً –وذلك غالبًا تبعًا لطبيعة الاستخراج الفقهيّ المعتمد في تصنيف كتب الحديث والّتي يغلب عليها الفائدة الفقهيّة– فنجمعها ونضعها في سياقها الزّمنيّ، وقد اختار الباحث روايات حدث الحديبية ودرسها استقصاءً للوقوف على ما يمكن أنْ يضيفه هذا المنهج لكتب السّيرة في هذا الحدث مثلًا.

إذا تكلّمنا عن حادثة الحديبية نجدها في كتب السّيرة في موطنٍ واحدٍ تتراوح بين الاختصار والإسهاب إلا أنّها مذكورةٌ في نسقها الحدثيّ زمانًا أو أهميةً، بينما نجدها متفرّقةً في كتب الحديث المرتّبة على الموضوعات تبعًا لهدف المصنِّف من مصنَّفه، كما أنّ حرص الرّواة على نقل الحديث بدقّةٍ متناهيةٍ جعلهم ينقلون مع الجزء المختصّ بالفائدة الفقهيّة ملابسات ذلك الحدث، فهل إعادة جمع هذه المرويّات

(1) مسلم، صحيح مسلم، باب: فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، 696/2، والبخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، 4/8.

وترتيبها سيساعدنا على إضافة معلوماتٍ على ما ورد في كتب السّيرة؟! بعد دراسة الباحث لمرويّات الحديبية ومقارنتها بكتب السّيرة وقف الباحث على الإضافات التّالية:

- أنّ صلح الحديبية كان في فصل الشّتاء، هذه معلومةٌ لا نجدها في كتب السّيرة[1] لكن ما يمكن للمحدّث الفقيه استنباطه جعله يهتم بذكر هذه الجزئيّة عند إيراده للحديث، بحيث يتمّ تناقلها سنديًّا لتتوطّن في موقعها في المصنَّف الحديثيّ، فمن حديث أَبِي الْمَلِيحِ[2] قَالَ: خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ، فَلَمَّا رَجَعْتُ اسْتَفْتَحْتُ، فَقَالَ أَبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبُو الْمَلِيحِ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَصَابَتْنَا سَمَاءٌ لَمْ تَبُلَّ أَسَافِلَ نِعَالِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ"[3].

- بيّنت لنا المرويّات وقت نزول آية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1] بدقّةٍ وأنّه كان أثناء رجوعهم بعد انتهاء الذّبح والحلق والتّحلّل فقد جاء عند مسلم من حديث أنس قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: 2] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»[4].

- كما تبيّن لنا الرواياّت انعكاس الحدث على نفسيّة الصّحابة رضوان الله عليهم، ففي الحديث السّابق ينقل الرّواة بدقّةٍ الحالة النّفسيّة للصّحابّة بعد انقضاء صلح الحديبية بقوله "وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ"، فجمع بين نزول الآية أو الآيات مع توقيت نزولها مع الحالة النّفسيّة للصّحابة عند نزولها.

- تتوارى بعض المعلومات في خضمّ الحدث الأكبر، ففي حدثٍ بضخامة الحديبية لا تكاد كتب السّيرة تشير إلى مسألةٍ نقلتها كتب وروايات الحديث مثل تخلُّف الجَدّ بن قَيس[5] عن المبايعة[6]: كما في حديث أَبي الزُّبَيْر[7]، أنّه سَمِعَ جَابِرًا[8]، يَسْأَلُ،

(1) أقصد من صنّفوا السيرة من المتقدمين، وإلّا فقد ذكرها المتأخرون من المصنفين في السيرة مثل: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، 165/2. والشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، 5/ 42.، والحلبي، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، 36/3.

(2) هُوَ ابن أُسَامَةَ بْنِ عُمَيْرٍ الْهُذَلِيُّ واسْمَهُ عَامِرٌ وَأَبُوهُ صَحَابِيٌّ. قاله ابن حجر في فتح الباري. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 32/2.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ك المغازي، باب غزوة الحديبية، 121/5. والقزويني، سنن ابن ماجه، ك الصلاة، باب: الجماعة في الليلة المطيرة 92/2-93.

(4) مسلم، صحيح مسلم، ك الجهاد والسير، بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ، 1413/3.

(5) الجَدُّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاريّ، أبو عبد اللَّه، سيد بني سلمة. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 575/1.

(6) ذكر تخلّفه عن المبايعة الإمام مسلم في صحيحه 1483/3. وابن حبان في السيرة النبوية ينظر: البستي، ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه وعلّق عليه: الحافظ السيد عزيز بيك وجماعة، ط3، بيروت: الكتب الثقافية، 1417هـ، 1/ 285. وجاء بسند ضعيف كما ذكر ابن حجر أنّه نزل فيه قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) [التوبة 49]، وأنه ممن تخلف عن تبوك ولم يُتب عليه ويُقال أنّه تاب وحسنت توبته. ابن حجر، الإصابة 1/ 576.

(7) هو مُحَمَّد بن مُسلم بن تدرس أَبُو الزبير الْمَكِّيّ مولى حكيم بن حزام، أحد التَّابعين مَشْهُور وَثَّقَهُ الْجُمْهُور وَضَعفه بَعضهم لِكَثْرَة التَّدْلِيس وَغَيره وَلم يرو لَهُ البُخَارِيّ سوى حَدِيث وَاحِد فِي الْبيُوع قرنه بعطاء عَن جَابر وعلق لَهُ عدَّة أَحَادِيث وَاحْتج بِهِ مُسلم وَالْبَاقُونَ. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 402/26. وابن حجر، فتح الباري، 442/1.

(8) هو الصحابي المشهور جابر بن عبد الله، أحد المكثرين، له ولأبيه صحبة. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 546/1.

كَمْ كَانوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: «كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، فَبَايَعْنَاهُ غَيْرَ جَدِّ بْنِ قَيْسٍ الأَنصَارِيِّ، اخْتَبَأَ تَحْتَ بَطْنِ بَعِيرِهِ»[1].

– الدّقّة في تحديد أماكن الأقوال والأفعال ضمن الحدث الواحد؛ فقد جاء في حديث أَبِي الزُّبَيْرِ، أنهُ سَمِعَ جَابِرًا، يَسْأَلُ، هَلْ بَايَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ؟ فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنْ صَلَّى بِهَا، وَلَمْ يُبَايِعْ عِنْدَ شَجَرَةٍ، إِلَّا الشَّجَرَةَ الَّتِي بِالْحُدَيْبِيَةِ".قَالَ ابن جُرَيْجٍ[2]: وَأَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أنهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: «دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بِئْرِ الْحُدَيْبِيَةِ»[3].

التّحديد الزّمانيّ والمكانيّ والظّرفيّ بدّقّةٍ؛ فقد رُوي عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: " قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي"[5] وفي سنن أبي داود من طريق أبي قلابة[6] قلابة[6] عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ[7]، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ وَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ لَمْ تَبْتَلَّ أَسْفَلُ نِعَالِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُصَلُّوا فِي رِحَالِهِمْ[8]."

إضافةَ معلوماتٍ مهمّةٍ للحدث لم تذكرها كتب السّيرة؛ مثل ذكر التحاق عبيد المشركين بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم في الحديبية وقبل الصّلح فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: خَرَجَ عِبْدَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَعْنِي يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَبْلَ الصُّلْحِ – فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوَالِيهِمْ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا هَرَبًا مِنَ الرِّقِّ. فَقَالَ نَاسٌ: صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «مَا أُرَاكُمْ تَنْتَهُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى هَذَا». وَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُمْ وَقَالَ: «هُمْ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[9].

ويستطيع الباحث أنْ يقف على فوائد عديدة في هذا النّسق من التّرتيب الزّمنيّ، فالتّحديد الزّمنيّ للحدث تقريبًا محدّد بروايات من الحديث وبكتب التّاريخ أو السّيرة، لكنّ الولوج إلى الرّوايات الحديثيّة المتعلّقة بالحدث وترتيب ما جاء فيها زمنيًّا ووضعه في نسقه الزّمنيّ يعطينا معلوماتٍ متنوعةً ومفيدةً مثل الخروج من خلاف أو اختلاف الرّوايات في السّيرة حول اسمٍ ما أو مكانٍ ما أو عددٍ ما فتأتي الرّوايات

(1) مسلم، صحيح مسلم، ك الإمارة، باب: بَابُ اسْتِحْبَابِ مُبَايَعَةِ الْإِمَامِ الْجَيْشَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ، وَبَيَانِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، 1483/3.
(2) هو عَبد المَلِك بن عبد العزيز بن جُرَيْج القرشي، أول من صنف الكتب، ثقة فقيه فاضر كان يرسل ويدلس. المزي، تهذيب الكمال، 338/18–354. 354. وابن حجر، تقريب التهذيب، ص363.
(3) مسلم، صحيح مسلم، ك الإمارة، بَابُ اسْتِحْبَابِ مُبَايَعَةِ الْإِمَامِ الْجَيْشَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ، وَبَيَانِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، 3/ 1483.
(4) هو الصحابي زيد بن خالد الجهني، مختلف في كنيته، شهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. ابن حجر، الإصابة، 2/ 499.
(5) البخاري، صحيح البخاري، ك المغازي، باب غزوة الحديبية، 121/5.
(6) أبو قلابة هو عبد الله بن زيد الجرمي ثقة فاضل كثير الإرسال أخرج له أصحاب الكتب الستة. ابن حجر، التقريب ص 304.
(7) سبق التعريف به. ينظر هامش 32.
(8) السجستاني، سنن أبي داود، بَابُ الْجُمُعَةِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ 278/1. والحديث صحيح، إلا أنّ الشيخ شعيب قال:" هذا إسناد ضعيف لانقطاعه كما هو هو مصرح به في إسناد المصنف بين سفيان بن حبيب وخالد الحذاء– وهو ابن مهران– ..لكن رواه غير سفيان بن حبيب عن خالد الحذاء، فلم يذكروا يوم الجمعة.. وذكر أنّه صححه ابن خزيمة والحاكم وسكت عنه الذهبي وقال ابن خزيمة: لم يقل أحد: يوم الجمعة غير سفيان بن حبيب." ينظر حاشية سنن أبي داود بتحقيق شعيب الأرناؤوط 290/2.

(9) السجستاني، سنن أبي داود، باب في عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين، 65/3. والحديث صحيح.

الحديثيّة فتعطي ترجيحًا حينًا أو حسمًا في حينٍ آخرٍ فمثلًا تروي كتب السّيرة والتّاريخ كثيراً من الرّوايات حول عدد من بايع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فتأتي روايات الأحاديث الصّحيحة فتقطع الخلاف بأنّ عددهم يتراوح بين 1400 و 1500[1].

المطلب الثّالث: ترتيب روايات "مسألةٍ أو قضيةٍ معينةٍ" زمنيًّا

من المعلوم لدى المشتغلين في العلم الشّرعيّ أنّ السّنة النّبويّة منها ما هو غير قابل للتّطوّر بمرور الزّمان أو بتغيّر المكان، وذلك مثل نصوص العقيدة فهي ثابتةٌ لا تتغيّر ولا تتطوّر فأسس العقيدة الواردة في الرّوايات لا فائدة من ترتيبها زمنيّاً لأنّها جميعًا تكرّر وتؤكّد بعضها بعضًا، إلّا أنّ هناك مسائل معينة يلعب الزّمن فيها دورًا فاعلًا ويعدّ عنصرًا فعّالًا.

والمجالات الّتي يمكن الإفادة من التّرتيب الزّمنيّ لها عديدةٌ، ويرى أبو اللّيث الآبادي[2] أنّ المجالات الّتي يؤثّر فيها البعد الزّمانيّ متنوعةٌ حيث يقول:" أمّا المجالات الّتي تناولَها البُعدان الزّمانيّ والمكانيّ في السُّنة فإنّ منها ما كان من السُّنة تفريعًا على العبادات الأصول، أو تطبيقًا للمبادئ السّابقة...ومنها ما كان من أحكام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم باعتباره حاكمًا وإمامًا، وما جاء منها مبنيًّا على السّياسة الشّرعيّة: مثل تعيين القضاة وأمراء الأمصار وقادة الجند، واختيار السّفراء، وتنظيم الجيوش، ووضع الخطط الحربيّة، وتوزيع الإقطاعات في القرى والمدن، وتفريق أموال بيت المال على المصالح، وإبرام المعاهدات، والتّعازير، وطرق تنفيذ الحدود والتّعازير، وتحديد الوقت لإجرائها وغيرها.

ومن هذه المجالات أيضًا ما كان منها على سبيل التّجارب البشريّة أو الأعراف والعادات. مثل البعض من أحاديث الطّب وغيرها من أمور الدّنيا. وأخيرًا فإنّ من تلك المجالات الأفعال الجِبِلّيّة للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والعاديّة والإرشاديّة، مثل الأكل والشّرب والمشي والنّوم وهيئتها ووسائلها، وغيرها.. والأحكام الّتي تخلّفت –مع مرور الزّمن وتغيّر الأحوال والأعراف– عن تحقيق هذه المصلحة لم تَعُدْ صالحةً للتّطبيق في ظلّ الظّروف والأوضاع الجديدة، والحكم –كما هو معلوم– يدور مع علّته وجودًا وعدمًا، ولهذا رأينا كثيرًا من الفقهاء

(1) 7 من الصحابة رووا روايات عدد من كان مع الرسول في الحديبية. وتراوحت الأعداد من 1300–1525 عند الطبري، ومن 1300 – 1500 عند البخاري. حسم ابن هشام الاختلاف عنده بذكره عدد 1400 فقط. اشترك البخاري والطبري بروايات أربع: المسور ومروان بعدد بضع عشرة ومائة، وجابر بعدد 1400، وعبد الله بن أبي أوفى بعدد 1300. انفرد البخاري عن الطبري برواية البراء من طرق ثلاثة، وانفرد الطبري عنه برواية ابن عباس بطريق واحد. البضع في اللغة ما بين 3–9 وهذا يعني أنهما قصدا 1300–1900.يحسم الموضوع رواية جابر لأنه هو سبب الاختلاف فقد روى 1400 وهو نفسه من روى 1500. 3 روايات لجابر عند البخاري 1500 ورواية واحدة 1400. من روى عن البراء 3 أحدهما قال 1400 أو أكثر. عدد الروايات التي أثبتت أن العدد يزيد عن الـ1400 (5 روايات) وروايتان لم تحدد (بضع ومائة).

إحدى الروايات فيها جاء فيها تصحيح العدد فقد روى البخاري بسنده عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: بَلَغَنِي أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ: «كَانُوا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً»، فَقَالَ لِي سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ: «كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً، الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ». ويؤيد هذا ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه إذ يقول: نَا بِشْرُ بن الْمُفَضَّلِ قَالَ نَا قُرَّةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ وَهَمَ جَابِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ حَدَّثَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ". ينظر لما سبق البخاري، الجامع الصحيح المختصر، 123/5. ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص81. والطبري، تاريخ الطبري 620/2–621. يستطيع الدارس لهذه المرويات أن يؤكد أن العدد كان يزيد عن الـ 1400، فمن أهمل الزيادة قال 1400 ومن جبر الزيادة قال 1500. إذ أن 14 رواية من أصل 17 تذهب لهذا ولا تعارض ما ذهبنا إليه.

(2) هو محمد أبو الليث شمس الدين الخير آبادي باحث معاصر له عدد من الأبحاث الحديثية وعمل أستاذًا للحديث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ينظر http://ktb.com/search

المتأخّرين من المذاهب الفقهيّة يفتون بغير ما أفتى به أئمّة مذاهبهم، وقد صرّح هؤلاء المتأخّرون بأنّ سبب اختلاف فتواهم عمّن سبقهم هو "اختلاف عصر وزمان، وليس اختلاف حُجّة وبرهان." [1]

والقول بالثّبات ذاته يمكن أنْ نقوله عن الأخلاق والقيم وكذلك المبادئ العامّة كالشّورى وحلّ البيع والشّراء والشّراكة والإعارة، وحرمة القتل والرّبا والرّشوة والسّرقة[2]، والغيبيّات في الدّار الآخرة وروايات السّنن الكونيّة وثوابت الواجبات والحقوق[3].

وكذا العبادات التي بيّنت السّنة تعاليمها برخصها وعزائمها فلا جدوى من ترتيب الرّوايات المتعلّقة بها زمنيًّا لأنّها ثابتةٌ لا تتغير، نعم قد يسبق حكمٌ معيّنٌ في روايةٍ ثمّ يُنسخ بحكمٍ آخر في روايةٍ تتلوها زمناً وهذا ما يطلق عليه أهل الاختصاص النّاسخ والمنسوخ فترتيب الرّوايات زمنيًّا لا بدّ أنْ يكون قد سبقه إشارةٌ إلى نسخ ما سبق. ومثاله ما جاء عَنْ سُوَيْدَ بْنَ النُّعْمَانِ[4] أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ، حَتَّى إِذَا كَانوا بِالصَّهْبَاءِ[5]، وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، «فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالأَزْوَادِ[6]، فَلَمْ يُؤْتَ إِلَّا بِالسَّوِيقِ[7]، فَأَمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ[8]، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى المَغْرِبِ، فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»[9]. فالحديث واضحٌ وصريحٌ أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لم يتوضّأ ممّا مسّته النّار ولهذا قَالَ الْخَطَّابِيُّ: "فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنّ الْوُضُوءَ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ مَنْسُوخٌ لِأَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ وَخَيْبَرُ كَانتْ سَنَةَ سَبْعٍ"[10] ولكنْ لنقفَ على ما يقوله ابن حجرٍ عقب إيراده للحديث حيث يقول:" فَمَضْمَضَ أَيْ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ وَفَائِدَةُ الْمَضْمَضَةِ مِنَ السَّوِيقِ وَإِنْ كَان لَا دَسَمَ لَهُ أَنْ تَحْتَبِسَ بَقَايَاهُ بَيْنَ الْأَسْنَان وَنَوَاحِي الْفَمِ فَيَشْغَلُهُ تَتَبُّعُهُ عَنْ أَحْوَالِ الصَّلَاةِ. قَوْلُهُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ أَيْ بِسَبَبِ أَكْلِ السَّوِيقِ، ثمّ يذكر قولَ الْخَطَّابِيّ ثمّ يقول:" قُلْتُ: لَا دَلَالَةَ فِيهِ، لِأَنّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَضَرَ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ وَرَوَى الْأَمْرَ بِالْوُضُوءِ كَمَا فِي مُسْلِمٍ وَكَان يُفْتِي بِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[11]. وقال في موضعٍ آخر :" قَالَ فَكَان الزُّهْرِيُّ يَرَى أَنّ الْأَمْرَ بِالْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ نَاسِخٌ لأحاديث الْإِبَاحَة لِأَنّ الْإِبَاحَةَ سَابِقَةٌ وَاعْتُرِضَ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ كَان آخِرُ الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْكَ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ"[12] ومعلومٌ أنّ الاختلاف في حكم مسألة الوضوء ممّا مسّته النّار واسعٌ وله مظانّه، لكنْ ما يعنينا هنا أو موطن الشّاهد أنّ حكم المسألة عند ابن حجر اعتمد كليًّا على ترتيب روايات المسألة زمنيًّا ومن ثم استخراج حكمها الفقهيّ.

وملاحظة ترتيب الرّوايات زمنيًّا لمسألةٍ معينةٍ يعيننا كما ذكرنا على الاطمئنان لما انتهى الأمر فيها، فمسألةٌ مثل كتابة الحديث جرى فيها كلامٌ كثيرٌ حول الإذن بها أو النّهي عنها، وعند ترتيب الرّوايات زمنيًّا لا يبقى مجالٌ للشّكّ أنّ ما استقرّ عليه الأمر هو جواز بل وجوب

(1) الخير آبادي، منهجية التعامل مع البعدين الزماني والمكاني في السنة عند المحدثين، بحث منشور بمجلة إسلامية المعرفة، العدد 37-38، 2004م، ص81.

(2) محمدي، البعد الزماني والمكاني وأثرهما في فهم السنة عند الصحابة، مجلة الأحياء، العدد السادس عشر، 2013م، 39-58.

(3) عمارة ، محمد، معالم المنهج الإسلامي، ص97.

(4) هو سويد بن النعمان بن مَالِك بن عامر الأَنْصارِيّ الأوسي المدني من أصحاب الشجرة، قيل: أنه شهد أحدا وما بعدها من المشاهد مع رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. روى له البخاري، والنَّسَائي، وابن ماجه حديثا واحدا. المزي، تهذيب الكمال 274/12.

(5) الصهباء منطقة بطرف خيبر مما يلي المدينة. ابن حجر، فتح الباري، 312/1.

(6) والأزواد جمع زاد، أراد جمع الرفقاء على الزاد في السفر. المرجع السابق.

(7) السويق هو القم أو الشعير المقلو ثم يُطحن. ابن حجر، فتح الباري، 135/1.

(8) فثُرّي أي بلّه بالماء لما لحقه من اليبس. ينظر ابن حجر، فتح الباري، 312/1.

(9) البخاري، باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ، 52/1.

(10) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب: من مضمض من السويق، 312/1.

(11) المرجع السابق 312/1. وينظر كلام الخطابي في كتابه أعلام الحديث، 271/1.

(12) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 311/1.

الكتابة لأنّ آخر الأمرين من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان في حجّة الوداع فكلّ ما سبقها من رواياتٍ حول الكتابة هو قطعًا سابقٌ لرواية الإذن الّتي يقول فيها صلّى الله عليه وسلّم "اكتبوا" عندما أمرهم أن يكتبوا لأبي شاه في حديث أبي هُرَيْرَةَ– رضي الله عنه– قال: لَمَّا فَتَحَ الله على رَسُولِهِ – صلّى الله عليه وسلّم – مَكَّةَ، قام في النّاس، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عليه ثُمَّ قال:" إنّ اللَّهَ حَبَسَ عن مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عليها رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كان قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لي سَاعَةً من نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فلا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، ولا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، ولا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إلا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ له قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إمَّا أن يُفدى وَإِمَّا ان يُقِيدَ" فقال الْعَبَّاسُ: إلّا الْإِذْخِرَ، فَإِنا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فقال رسول اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم –:" إلّا الْإِذْخِرَ"، فَقَامَ أبو شَاهٍ –رَجُلٌ من أَهْلِ الْيَمَنِ– فقال: اكْتُبُوا لي يا رَسُولَ اللَّهِ، فقال رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –:"اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ"[1].

المطلب الرّابع: قرائن التّرتيب الزّمنيّ للرّوايات

لعلّ السّؤال الّذي يتبادر إلى الذّهن هو : إذا كان معظم الأحاديث يمكن ترتيبها تبعًا لقرائن معيّنةٍ كما أشرنا في المطلب الأوّل، فما هي هذه القرائن الّتي يمكن للباحث الاستعانة بها لترتيب الأحاديث زمنيًّا؟! حاول الباحث الوقوف على هذه القرائن فكان منها:

- القرينة الأولى: (الحدث بذاته) لعلّ أقوى قرينةٍ هي احتواء النّص على ما يفيد الحدث الّذي قيل فيه، فلا يكون هناك مجالٌ للاجتهاد في زمنه بل هو ناطقٌ بالزّمن الّذي صدر فيه. ومثاله: ما رواه مسلم ولم تذكره كتب السّيرة من أخذ عمر رضي الله عنه ليد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الحديبية فيما يرويه أَبُو الزُّبَيْرِ، سَمِعَ جَابِرًا، يَسْأَلُ، كَمْ كَانوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ:«كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، فَبَايَعْنَاهُ غَيْرَ جَدِّ بْنِ قَيْسٍ الْأَنصَارِيِّ[2]، اخْتَبَأَ تَحْتَ بَطْنِ بَعِيرِهِ»[3]. فالحديث ناطقٌ بزمنه من خلال الحدث الّذي تناوله وهو هنا الحديبية.

وكما جاء في حديثٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضى الله عنه: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ". قُلْنَا: لاَ وَهْيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ " اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا[4]". هذه المرأة من سبي هوازن[5] كما ذكر ابن حجر[6]، وعند الرّجوع للحدث وقفنا على أنّ ذلك حدثٌ بعد غزوة حنينٍ والّتي كانت في أواخر العام الثّامن من الهجرة وذلك أنّ مالك بن عوف[7] أخرج النّساء والأطفال إلى المعركة.

القرينة الثّانية: (إسلام الرّاوي ووفاته) قد يكون التّرتيب الزّمنيّ للأحاديث تبعًا لراويها كما سبق وذكرت في المطلب الأوّل؛ وهنا قد يسعفنا الرّجوع إلى كتب المسانيد للوقوف على أحاديث الصّحابة الّذين توفّوا في زمنٍ معلومٍ ومحدّدٍ–ومع العلم أنّ الصّحابيّ قد يروي الحديث عن

(1) رواه البخاري في صحيحه، البخاري صحيح البخاري، ك في اللقطة، باب: كيف تعرّف لقطة أهل مكة، 857/2. ومسلم في صحيحه، مسلم، صحيح صحيح مسلم، ك الحج، باب: تحريم مكة وصيدها، 989/2، وأبو داود في سننه، أبو داود، سنن أبي داود، ك المناسك، باب: تحريم حرم مكة، 212/2. والترمذي في جامعه، سنن الترمذي، ك العلم، باب: ما جاء في الرخصة فيه، 5/ 39(2667). وابن حبان في صحيحه، ابن حبان، صحيح ابن حبان، 28/9. جميعهم من طريق الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة مرفوعاً.

(2) سبق التعريف به ص11.

(3) تقدم تخريجه في ص11.

(4) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، 8/8.

(5) قبيلة عدنانية، كانت تقطن في نجد مما يلي اليمن. ومن أوديتهم: «حنين» ، غزاه رسول الله بعد فتح مكة. شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، والسيرة، ص 294.

(6) ابن حجر، فتح الباري، 430/10.

(7) هو مالك بن عوف بن سعد كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة، وصحب ثم شهد القادسية وفتح دمشق. ابن حجر، الإصابة، الإصابة، 550/5.

غيره من الصّحابة كما أشرنا في مراسيل الصّحابة– إلّا أنّ ثمّة إشاراتٍ يفيد منها القارئ أنّ الحادثة وقعت في زمنٍ منضبطٍ نوعًا ما وذلك لا يتجاوز بحال الزّمن بين إسلامه ووفاته وخصوصًا إذا كان قد توفّاه الله قبل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ومثاله أنّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَاطَبَ سُلَيْكًا[1] سَكَتَ عَنْ خُطْبَتِهِ حَتَّى فَرَغَ سُلَيْكٌ مِنْ صَلَاتِهِ، فعندما ناقش ابن حجر المسألة استدلّ زمنيًّا للتّرجيح بين الأقوال فقال:" الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةَ كُلَّهَا مُطْبِقَةٌ عَلَى أَنَّهُ دَخَلَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ... قِيلَ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ سُلَيْكًا مُتَأَخِّرُ الْإِسْلَامِ جِدًّا وَتَحْرِيمُ الْكَلَامِ مُتَقَدِّمٌ جِدًّا"[2].

القرينة الثّالثة: ولها أمثلةٌ كثيرةٌ وهي (شاهد العيان) يقال شاهد عيان، أيْ رأى الشّيء بعينه، ولا يشكّ في رؤيته إيّاه، ولا يقال: عَيان (بفتح العين) وإنّما: عِيان (بكسر العين) [3]. ونقول: "شاهد عيان"، أيْ: أنّ الشّاهد حضر الحدث وشاهده بعينه، ويقال: "الشّاهد العيانيّ" أيْ الّذي شهد بما رأى، والضّمار: ضدّ العيان وهو ما أضمره الإنسان[4]. وعرّفه صاحب بحث شاهد العيان بقوله:" شاهد العيان: هو المُطّلع على الأمور والمباشر لها بحواسه، لذا فهو الأقدر على وصف الحدث، وبيان تفاصيله وملابساته، وهو أبعد النّاس عن الخطأ والوهْم لانتفاء دواعي السّهو والغفلة عنه"[5].

وقدَّم الصّحابة والتّابعون –رضي الله عنهم– شاهد العيان واعتبروه الحَكَم على ما شاهده وعاينه، فهو أولى من غيره في ذكره وبيانه، وله أنْ يعترض أو يعدّل أو يُنكر بعض ما يحدِّث به غيره ما دام هو الشّاهد الأوّل على الحدث، فمن ذلك ما حدَّث به عبد الله بن رباح[6]، عن أبي قتادة[7] قال: ناموا حتّى طلعت الشّمس، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " ليس في النّوم تفريطٌ، إنّما التّفريط في اليقظة، فإذا نسي نسي أحدكم صلاةً أو نام عنها، فليُصلِّها إذا ذكرها ولوقتها من الغد". قال عبدالله بن رباح: فسمعني عمران بن الحصين[8] فقال: يا فتى انظر كيف تحدّث؟ فإنّي شاهدٌ للحديث مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: فما أنكر من حديثه شيئًا"[9]. فإذا روى شاهد العيان الحدث أمكننا التّأكد أنّ زمن الحدث مرتبطٌ بزمن راويه وأبعد أنْ يكون مرسل صحابيّ، وبالتّالي نعدّها قرينة لمعرفة زمن صدور الحديث، وفي المثال السّابق الصّحابيّ شاهد الحديث هو عمران بن الحصين وقد أسلم عام خيبر كما قال ابن حجر وعليه أمكننا تحديد زمن الرّواية بناءً على ذلك.

ومثله إذا صرّح الصّحابيّ الرّاوي للحديث بالسّماع، ومثاله ما جاء في البخاريّ من حديث عَمْرَو بْن العَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: " إِنّ آلَ أَبِي – قَالَ عَمْرٌو: فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ[10] بَيَاضٌ – لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ[11].

(1) هو الصحابي سليك بن عمرو أو ابن هدبة الغطفاني. ابن حجر، الإصابة، 3/ 138.
(2) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، 502/2.
(3) أبو طالب، عبدالهادي، معجم تصحيح لغة الاعلام العربي، ص173.
(4) ابن دريد، الاشتقاق، ص170.
(5) العكايلة، سلطان. شاهد العيان وأثره في الروايات التاريخية، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد 40، العدد2، ص600–616، 2013م.
(6) هو عبد الله بن رباح الأنصاري، أبو خالد المدني، ثقة من الثالثة روى له مسلم والأربعة. ابن حجر، التقريب، ص 302.
(7) هو الصحابي أبو قتادة الأنصاري الحارث ويقال عمرو أو النعمان بن ربعي السلمي، المدني، شهد أحدا وما بعدها ولم يصح شهوده بدرا روى له الجماعة. ابن حجر، التقريب ص 666.
(8) هو الصحابي عمران بن الحصين بن عبيد، الخزاعي، كان إسلامه عام خيبر وغزا عدة غزوات. ابن حجر، الإصابة، 4/ 585.
(9) ابن ماجه، موقع المكتبة الشاملة ، متون الحديث، (290/2) ، ذكره الألباني في الإرواء (294/1) وقال: صحيح. وما ذكرته هنا أفدته من البحث السابق ذكره.
(10) أي وقع في كتاب محمد بن جعفر (أي غندر) موضع أبيض يعني بغير كتابة. ابن حجر، فتح الباري، 420/10.
(11) البخاري، الصحيح، ك الأدب، باب صلة الرحم، 6/8.

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ[1]، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[2].

واعتمد هذه القرينة ابن حجر عندما قال:" أَمَّا قَوْلُ بَعْضِهِمْ: إِنَّ قِصَّةَ ذِي الْيَدَيْنِ كَانَتْ قَبْلَ نَسْخِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، فَضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ إِنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ بَدْرٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ إِمَّا وَهِمَ فِي ذَلِكَ، أَوْ تَعَدَّدَتِ الْقِصَّةُ لِذِي الشِّمَالَيْنِ الْمَقْتُولِ بِبَدْرٍ، وَلِذِي الْيَدَيْنِ الَّذِي تَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ ثَبَتَ شُهُودُ أَبِي هُرَيْرَةَ لِلْقِصَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ وَشَهِدَهَا عِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ وَإِسْلَامُهُ مُتَأَخِّرٌ أَيْضًا"[3].

القرينة الرّابعة: (الموضوع) ذكرنا سابقًا أنّه يمكننا تناول كتابًا أو بابًا محدّدًا من الكتب المصنّفة على الأبواب أو الموضوعات ونعيد ترتيبه زمنيًّا قدر الإمكان، مثل كتاب الأدب أو كتاب الأشربة أو غيرها مما لا يُقصد التّرتيب الزّمنيّ بها ويمكنها إضافة بعض المعلومات للأحداث، إلّا أنّ هناك موضوعات تُقدّم لنا الزّمن بذاته وذلك مثل الرّوايات الّتي تتناول حدثًا كبيرًا له دلالة زمنيّة مثل حجّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أو تتناول هجرته صلّى الله عليه وسلّم، فإذا كان موضوع الرّواية لم يحدث إلا مرّة واحدة أو كان موضوعها مميزًا جدًا استطعنا معرفة ترتيب تلك الرّوايات زمنيًّا.

القرينة الخامسة: من العوامل المعينة على تحديد زمن الحديث احتواؤه على آية مثاله:

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَيُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «اللهُمَّ انجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ[4]، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ[5]، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ[6] وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ[7] وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِي يُوسُفَ، اللهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ[8]، وَرِعْلًا[9]، وَذَكْوَانَ[10]، وَعُصَيَّةَ[11]عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ»، ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أَنزَلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾[آل عمران: 128][12] فتبيّن لنا أنّ الآية أُنزلت بعد استضعاف قريشٍ للمسلمين وعدم تكوّن قوّتهم بعد، ثمّ نقف على روايةٍ عَنْ أنسٍ، أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رباعيتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا

(1) هو الصحابي أبو شريح الخزاعي ثم الكعبي من بني عدي، أسلم قبل الفتح، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح. ابن حجر، الإصابة، 7/ 173.
(2) البخاري، الصحيح، ك الأدب، باب: صلة الرحم ، 11/8.
(3) ابن حجر، فتح الباري 102/3.
(4) هو الصحابي الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي أخو خالد بن الوليد، كان حضر بدرا مع المشركين، فأسر فافتداه أخواه هشام وخالد، فلما افتدى أسلم، ولما أسلم حبسه أخواله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت. ابن حجر، الإصابة، 6/ 484.
(5) هو الصحابي سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي أخو أبي جهل والحارث، كان من السباقين، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينجيه من الكفار وكانوا قد حبسوه عن الهجرة وآذوه. ابن حجر، الإصابة، 3/ 131.
(6) هو الصحابي عياش بن أبي ربيعة المخزومي ابن عم خالد بن الوليد، كان من السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل إلى أن رجع من المدينة إلى مكة فحبسوه. ابن حجر، الإصابة، 4/ 624.
(7) قبيلة عدنانية لها بطون كثيرة. ينظر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، 871/2.
(8) لحيان: قبيلة عدنانية بسببهم كانت غزوة الرجيع وهم من هذيل ولا زالوا سكّان ضواحي مكة بين مكة ومرّ الظهران. محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص235
(9) رِعْلٌ فَبِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ بَطْنٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُنْسَبُونَ إِلَى رِعْلِ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ لَهِيعَةَ بْنِ سُلَيْمٍ. ابن حجر، فتح الباري، 379/7.
(10) وَأَمَّا ذَكْوَانُ فَبَطْنٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُنْسَبُونَ إِلَى ذكْوَان بن ثَعْلَبَة بن بُهْثَةَ بْنِ سُلَيْمٍ فَنُسِبَتِ الْغَزْوَةُ . ابن حجر، فتح الباري، 379/7.
(11) وَعُصَيَّةُ بَطْنٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مُصَغَّرٌ قَبِيلَةٌ تُنْسَبُ إِلَى عُصَيَّةَ بْنِ خُفَافِ بْنِ ندبة بن بهثة بن سليم. ابن حجر، فتح الباري، 329/7.
(12) مسلم، صحيح مسلم، ك المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ، 466/1.

رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: 128] [1]، فعلمنا أنّ هذا الحديث قيل بُعيد أحدٍ وفيه نزلت الآية.

المطلب الخامس: فوائد التّرتيب الزّمني للرّوايات ومعيقاته

لا نستطيع إنكار أنّ ثمّة فوائد من هذا التّرتيب الزّمنيّ للرّوايات مثالها: **حلّ إشكالاتٍ**

وأقصد "**أحداث غير مقصودةٍ لذاتها لكن تساعد في حلّ إشكالاتٍ تاريخيةٍ**": إنّ المطّلع على بعض الأحداث التّاريخية يعلم أنّ أقلامًا بريئةً وأخرى خبيثةً تناولتها بحسن وبسوء طويةٍ، ومنها على سبيل المثال حادثة الإفك، فقد اختلف المفسّرون فيمن خاض في تلك الحادثة، وكيف كانت تبعات تلك الحادثة المؤلمة على الصّحابة الّذين تكلّموا فيها ومنهم الصّحابيّ حسّان بن ثابت حتّى أنّ الواقديّ ذكر أنّ عروة بن الزّبير سبّه جرّاء موقفه في تلك الحادثة[2]. وعند التّنسيق الزّمنيّ للرّوايات قد نستطيع الإجابة أو إلقاء الضّوء على العديد من تلك الإشكالات فمن ترتيب الرّوايات زمنيًّا تبيّن لنا:

- رضا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن حسان بن ثابت وأنّ هذا الرّضا كان بعد حادثة الإفك، وهذا كفيلٌ بإغلاق أفواهٍ حاقدةٍ على الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم.

فعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ الأنصَارِيَّ: يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَيَقُولُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ[3].

ومعلومٌ أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قد أسلم سنة سبع للهجرة وذلك بعد حادثة الإفك الّتي وقعت سنة خمس للهجرة على الصحيح. لأنّ الرّواية صحيحةٌ في البخاريّ تؤكّد أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قد سمع ثناء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ودعاءه لحسّان بن ثابت، وفيه إلجام للألسن التي تنفث خبثها طعنًا في صحابة كرام رضي الله عنهم أجمعين.

رفد السّيرة بأحداث لم تذكرها الكتب المصنّفة في السّيرة مثل: الوقوف على أحداث غابت لقوّة الحدث الأصل وحصولها في خضمّه: لقد كان فتح مكّة فتحًا عظيمًا في تاريخ الأمّة الإسلاميّة، وقد حرص الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ألّا تسيل فيه دماءٌ لعظمة ذلك اليوم، ويُعدّ حدث فتح مكّة من أقوى الأحداث الّتي حصلت في تاريخ الفتوحات النّبويّة فأخذت أحداثه اهتمام كتاب السّيرة وهي الأحداث المفصليّة والهامّة للفتح فلم تذكر كتب السّيرة أحداثًا صغيرةً غابت في كبر الحدث الأبرز ومن ذلك:

- **حصول سرقةٍ في غزوة الفتح من قبل امرأةٍ**

فقد روى البخاريّ بسنده إلى عُروة بن الزُّبَيْرِ أنّه قال: «إِنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَقُطِعَتْ يَدُهَا»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا، وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4].

هذا الحدث يعدّ أمرًا مهمًا لعلماء الحديث لاحتوائه على تشريعٍ وعقوبةٍ حدّيّةٍ ولذا اهتمّوا في نقله بدّقّةٍ بينما نرى مصنّفي كتب السّيرة لم يتعرّضوا له إطلاقًا مع أنّ زمنه واضحٌ دقيقٌ، فقد حدثت السّرقة في ذات غزوة الفتح، وهذا يلقي بظلالٍ قويةٍ على أخلاقيّات ذلك الجيل الفريد وتطبيقه لتعاليم هذا الدّين وسلامة ونظافة المجتمع نفسيًّا واجتماعيًّا، فلم يقف قطع يد تلك الصّحابيّة من أنْ تشهد لها السّيدة عائشة

(1) مسلم، صحيح مسلم، ك الجهاد والسير، باب غزوة أحد، 1417/3.
(2) الواقدي، المغازي، 438/2.
(3) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب الشعر في المسجد. 36/8.
(4) البخاري، صحيح البخاري، ك الشهادات، بَابُ شَهَادَةِ القَاذِفِ وَالسَّارِقِ وَالزَّانِي 171/3.

رضي الله عنها أنّها تابت بل وحسنت توبتها، ثمّ لم يمنعها ذلك من أنْ يحتضنها المجتمع فتزوّجت، وكانت تأتي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وترفع حاجتها. الحدث جدًّا صغير في كلماته لكنّه كبيرًا جدًّا في غزارة ما يحتويه من قواعدَ تربويّةٍ واجتماعيّةٍ ونفسيّةٍ .

أحداثٌ في طريق الغزوات أقرب للتّصنيف على الأبواب منها لكتب السّيرة: اهتمّ كتّاب السّيرة كما ذكرت سابقًا بغزوات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ودونوها تفصيلًا إلّا أنّ طبيعة اهتمامهم نَحَتْهُم عن التّطرق لأحداثٍ حصلت في الغزوات يُستخرج منها حكمًا شرعيًّا أو منقبةً كما هو الحال في ما يرويه البخاريّ في صحيحه: عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ[1]، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ القُرَى[2] إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «اخْرُصُوا»[3]، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لَهَا: «أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا» فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ» فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ[4]، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ[5] لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ القُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ» قَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ[6]، خَرْصَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِي، فَلْيَتَعَجَّلْ» فَلَمَّا قَالَ ابن بَكَّارٍ[7] كَلِمَةً مَعْنَاهَا: أَشْرَفَ عَلَى المَدِينَةِ قَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ» فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ: «هَذَا جَبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ – أَوْ دُورُ بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ – وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ – يَعْنِي – خَيْرًا»[8].

ما تحتويه الرّواية من حدثٍ أو أحداث لم تعنِ أصحاب التّصنيف في السّيرة لكنّ أحداثه نقلت بدقّةٍ عند المحدّثين؛ فالخَرْصُ وتعجّلُ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وقبولُ هديّة ملك أيْلة ومنقبة المدينة ومنقبة الأنصار كلّ ذلك جعل من هذه الرّواية الحديثيّة مادة مستهدفة لمصنّفي الجوامع والسّنن.

معرفة وضبط وتحديد الأشخاص داخل الحدث بدقّة: معلومٌ أنّ مرتبة كتب الحديث أعلى من كتب السّيرة من حيث الصّحة والدّقّة، وذلك أنّ شروط قبول الرّواية في كتب الفقه أعلى منها في كتب السّيرة هذا بشكلٍ عامٍّ فكيف إذا جاء التّحديد في أحد كتب الصّحيحين وهي أعلى كتب رواية الحديث صحةً! ومثاله: ما حدث أثناء رجوعهم من خيبر: فعَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ: أنهُ أَقْبَلَ هُوَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيَّةُ، مُرْدِفُهَا عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا كَانوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَثَرَتِ النَّاقَةُ، فَصُرِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمَرْأَةُ، وَأَنّ أَبَا طَلْحَةَ – قَالَ: أَحْسِبُ – اقْتَحَمَ عَنْ بَعِيرِهِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، هَلْ أَصَابَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْمَرْأَةِ» فَأَلْقَى أَبُو طَلْحَةَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَصَدَ قَصْدَهَا، فَأَلْقَى ثَوْبَهُ عَلَيْهَا، فَقَامَتِ المَرْأَةُ، فَشَدَّ

(1) هو الصحابي عبد الرحمن بن سعد، ويقال عبد الرحمن بن عمرو بن سعد، شهد أحدا وما بعدها. ابن حجر، الإصابة، 7/ 81.

(2) هو وادي العُلا اليوم: مدينة عامرة شمال المدينة على قرابة 350 كيلا كثيرة المياه والزرع والأهل. الحربي، عاتق بن غيث، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص443.

(3) الخَرْص هو حزر ما على النخل من الرطب تمرا، أَنَّ الثِّمَارَ إِذَا أُدْرِكَتْ مِنَ الرُّطَبِ وَالْعِنَبِ مِمَّا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ بَعَثَ السُّلْطَانُ خَارِصًا يَنْظُرُ فَيَقُولُ يُخْرَجُ مِنْ هَذَا كَذَا وَكَذَا زَبِيبًا وَكَذَا وَكَذَا تَمْرًا فَيُحْصِيهِ وَيَنْظُرُ مَبْلَغَ الْعُشْرِ فَيُثْبِتُهُ عَلَيْهِمْ وَيُخَلِّي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الثِّمَارِ فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الْجِذَاذِ أُخِذَ مِنْهُمُ الْعُشْرُ انْتَهَى وَفَائِدَةُ الْخَرْصِ التَّوْسِعَةُ عَلَى أَرْبَابِ الثِّمَارِ فِي التَّنَاوُلِ مِنْهَا وَالْبَيْعِ مِنْ زَهْوِهَا وَإِيثَارِ الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ وَالْفُقَرَاءِ لِأَنَّ فِي مَنْعِهِمْ مِنْهَا تَضْيِيقًا لَا يَخْفَى. ابن حجر، فتح الباري، 344/3.

(4) طيء مما يلي المدينة، تبدأ بعد الحرار المتصلة بخيبر وبعد وادي الرمّة. الحربي، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية. ص366.

(5) أيلة: تُعرف اليوم باسم العقبة ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، وعلى رأس خليج هو أحد شعبتي البحر الأحمر. الحربي، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية. من كتب المكتبة الشاملة. ص30.

(6) جمع وَسْق وهوستون صاعا. ابن حجر، فتح الباري، 205/1.

(7) هو سهل بن بكار الدارمي البصري أبو بشر، شيخ البخاري، ثقة ربما وهم. ابن حجر تقريب التهذيب ص 257.

(8) البخاري، صحيح البخاري، ك الزكاة، باب خرص الثمر. 2/ 125.

لَهُمَا عَلَى رَاحِلَتِهِمَا فَرَكِبَا، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانوا بِظَهْرِ المَدِينَةِ – أَوْ قَالَ: أَشْرَفُوا عَلَى المَدِينَةِ – قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُهَا حَتَّى دَخَلَ المَدِينَةَ[1].

وقد نقل ابن حجر في فتحه رواية عند البخاريّ فيه التّصريح على أنّها خيبر: "قَوْلُهُ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ وَإِنِّي لَرَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ يَسِيرُ وَبَعْضُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَثَرَتِ النَّاقَةُ، فَقُلْتُ: الْمَرْأَةَ! فَنَزَلَتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّهَا أُمُّكُمْ" فَشَدَدْتُ الرَّحْلَ. كَذَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَظَاهِرُهُ أَنّ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ وَفَعَلَهُ هُوَ أَنسٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَاخِرِ الْجِهَادِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ .. وَلَفْظُهُ أَنّهُ أَقْبَلَ هُوَ وَأَبُو طَلْحَةَ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيَّةُ يُرْدِفُهَا عَلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَثَرَتِ الدَّابَّةُ فَصُرِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَرْأَةُ وَأَنّ أَبَا طَلْحَةَ أَحْسَبُهُ قَالَ اقْتَحَمَ عَنْ بَعِيرِهِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَلْ أَصَابَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ :"لَا وَلَكِنْ عَلَيْكَ الْمَرْأَةَ". فَأَلْقَى أَبُو طَلْحَةَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَصَدَ قَصْدَهَا فَأَلْقَى ثَوْبَهُ عَلَيْهَا فَقَامَتْ الْمَرْأَةُ فَشَدَّ لَهُمَا عَلَى رَاحِلَتِهِمَا فَرَكِبَا الْحَدِيثَ. وَفِي أُخْرَى .. وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَقَدْ أَرْدَفَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَعَثَرَتْ نَاقَتُهُ فَسَاقَهُ نَحْوَهُ فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ تَسْمِيَةُ الْمَرْأَةِ وَأَنّ الَّذِي تَوَلَّى شَدَّ الرَّحْلِ وَغَيْرَ ذَلِك مِمَّا ذكر هُوَ أَبُو طَلْحَةَ لَا أَنسٌ[2].

فروايات الحدث عند البخاريّ حدّدت الصحابيّ الّذي أخذ الحركة تجاه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وزوجته أمّ المؤمنين رضي الله عنها، كما حدّدت الرّواية أمّ المؤمنين المقصودة أنّها صفيّة رضي الله عنها، وحدّدت الزّمان وهو مرجعهم من خيبر، وحدّدت الصّحابيّين الشّاهدين على الحدث وهما أنس وزوج أمّه أبو طلحة رضي الله عنهم جميعًا.

- إذا لم تكن هذه الرّواية في كتب السّيرة فنفيد وجودها في كتب الحديث أصالة، وإذا كانت موجودة فقد تضيف لها الرّواية الحديثيّة ما ليس فيها ومثاله: حادثة هدم ذي الخَلَصَة[3]: عند الرّجوع إلى كتاب الواقديّ نجد أنّه لم يذكر الحادثة نهائيًا. أمّا ابن هشامٍ فذكرها وقال:" قَالَ ابن إِسْحَاقَ: وَكَانَ ذُو الخَلَصَة لِدَوْسٍ وَخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ، وَمَنْ كَانَ بِبِلَادِهِمْ مِنْ الْعَرَبِ بِتَبَالَةَ قَالَ ابن هِشَامٍ: وَيُقَالُ: ذُو الخَلَصَة. قَالَ: رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ:

لَوْ كُنْتَ يَا ذَا الْخُلُصِ الْمَوْتُورًا... مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورًا...لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورًا

قَالَ: وَكَانَ أَبُوهُ قُتِلَ، فَأَرَادَ الطَّلَبَ بِثَأْرِهِ، فَأَتَى ذَا الخَلَصَة، فَاسْتَقْسَمَ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ السَّهْمُ بِنَهْيِهِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُنْحِلُهَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيَّ[4]. فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فَهَدَمَهُ"[5].

أما الرّواية الحديثيّة فقد جاءت الرّواية عند البخاريّ من حديث جرير قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ» وَهُوَ نُصُبٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنْ أَحْمَسَ[6] مِنْ قَوْمِي، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَانْطَلَقْتُ فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَوْمِي

(1) البخاري، صحيح البخاري، ك الجهاد والسير، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنَ الغَزْوِ؟ 42/8.

(2) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، قَوْلُهُ بَابُ إِرْدَافِ الْمَرْأَةِ خَلْفَ الرَّجُلِ ذَا مَحْرَمٍ 10/ 398.

(3) سبق التعريف به ص4.

(4) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي كان شاعرًا عربيًا جاهليًا عالي الطبقة من قبيلة كندة، يُعد رأس شعراء العرب وأعظم شعراء العربفي التاريخ. أحد فحول الجاهلية. الشيباني، المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص8.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%85%D8%B1%D8%A4_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%B3

(5) ابن هشام، السيرة النبويّة، 86/1.

(6) أَحْمَس هي قبيلة من بجيلة. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7/ 150. وقيل هو لقب قريش وكنانة وجديلة. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 532/3.

قَوْمِي فَأَتَيْتُهَا فَأَحْرَقْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا مِثْلَ الجَمَلِ الأَجْرَبِ، فَدَعَا لِأَحْمَسَ وَخَيْلِهَا"[1]. ورواه الطبرانيّ في كتابه الحديثيّ المعجم الكبير من ستّة طرق جميعها عن جرير وبها زيادات.[2]

فالمعلومات التي زودتنا بها الرّواية الحديثيّة لم نجدها عند الرّواية التّاريخيّة للسّيرة وهذا ربّما لأنّ الحادثة تعلّقت بشخص صحابيّ هو من روى الحديث فاهتمّ بإيراد ما جاء بها تفصيلًا، وإلّا فالمعهود أنّ كتب السّيرة أكثر تفصيلًا من الرّوايات الحديثيّة لكنّه غالبًا تفصيلٌ للحدث لا لصاحبه.

- **استخدام الصّحابة "النّص النّبويّ" بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في مواقف قياس**

لعلّ من أهمّ الفوائد للتّرتيب الزّمنيّ للحديث القدرة على تنزيل الحديث لواقع النّاس في وقائع مشابهةٍ لها، وهو ما يسمّى بالقياس، من المعلوم حتّى يكون القياس صحيحًا لا بدّ من معرفة الظّروف الّتي قيل فيها النّص وحيثيّاته الزّمانيّة والمكانيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة وغيرها. حتّى لا نقع في قياس باطل لا يصحّ فقد جاء عند البخاريّ من حديث أبي وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بن حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ فَقَالَ: «بَلَى». فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، فَانطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ»[3]. فالرّواية الأصليّة موجودةٌ في كتب السّيرة والحديث لكنّ تنزيل الرّواية في صفّين كما فعل سَهْلُ بن حُنَيْفٍ لم نجده إلّا في كتب الحديث.

- **ذكر تفاصيل لم ترد في كتب السّيرة** مثل مبايعة سلمة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم أكثر من مرّة إضافة لتفاصيل أخرى في الحدث ذاته وسأذكر مثالًا طويلًا إلّا أنّ طوله مقصودٌ في هذا البحث لنقف على زخم المعلومات الّتي لم ترد في كتب السّيرة حول الحدث– وهو ما جاء عند مسلم من حديث سلمة قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً.. قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ، وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: «بَايِعْ يَا سَلَمَةُ» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: وَرَآنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزِلًا – يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ –، قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَفَةً – أَوْ دَرَقَةً –، ثُمَّ بَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ، أَيْنَ حَجَفَتُكَ – أَوْ دَرَقَتُكَ – الَّتِي أَعْطَيْتُكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقِيَنِي عَمِّي عَامِرٌ[4] عَزِلًا، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، قَالَ: قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: " إِنَكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي"، ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ، وَاصْطَلَحْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَسْقِي فَرَسَهُ، وَأَحُسُّهُ،

(1) تقدم تخريجه ينظر ص5.

(2) ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: عائشة عبد القادر جودت جبر، 235–239، والحديث صحيح، الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ك الجزية، باب: إثم من عاهد ثم غدر، 103/4. مسلم، صحيح مسلم، ك الجهاد والسير، باب صلح الحديبية 1412/3.

(4) هو الصحابي عامر بن سنان الأسلمي المعروف بابن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، قاتل قتالاً شديداً في خيبر فارتد عليه سيفه فقتله. ابن حجر، الإصابة، 472/3.

وَأَخْدِمُهُ، وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا، قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، قُتِلَ ابن زُنَيْمٍ، قَالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ، يُقَالُ لَهُ: مِكْرَزٌ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ، مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «دَعُوهُمْ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ، وَثِنَاهُ»، فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنزَلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عليهم﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا، قَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لَحْيَانَ جَبَلٌ، وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّهُ طَلِيعَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ، قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكَمَةٍ، فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا: يَا صَبَاحَاهْ، ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَأَرْتَجِزُ، أَقُولُ:أنا ابن الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ، فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ، حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنا ابن الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ، فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَان بن بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ – يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ – وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ، قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ، وَاللهِ، مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ، قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أنا سَلَمَةُ بن الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي، قَالَ أَحَدُهُمْ: أنا أَظُنُّ، قَالَ: فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بن الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ

تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَّيْتُهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قِبَلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرَدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ – يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ – فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابن الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ، أَكْوَعُهُ بُكْرَةً؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ، قَالَ: وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُهُمْ عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمُ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدًّا، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟» فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ، قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا، إِلَّا أَن يَكُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، ذَرْنِي فَلْأُسَابِقَ الرَّجُلَ، قَالَ: «إِن شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَذْهَبْ إِلَيْكَ وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ، فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ، قَالَ: فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا – أَوْ شَرَفَيْنِ – أَسْتَبْقِي نَفَسِي، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ، فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا – أَوْ شَرَفَيْنِ –، ثُمَّ إِنِي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقُهُ، قَالَ: فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سُبِقْتَ وَاللهِ، قَالَ: أَنا أَظُنُّ، قَالَ: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا، فَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِن لَاقَيْنَا، وَأَنزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: أَنا عَامِرٌ، قَالَ: «غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ»، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ،..[1].

فدقّة التّفاصيل الواردة هنا في الرّواية الحديثيّة تثير الاستغراب أنّنا لا نجدها في كتب السّيرة حيث لم أجد عند الواقديّ ولا عند ابن هشام إلّا إشارةٌ خاطفةٌ لرجز عامر، ولعلّ ذلك كما ذكرت آنفًا لتعلّقها بالشّخصيّة أكثر من الحدث.

(1) مسلم، صحيح مسلم، ك الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، 1433/3.

- **<u>ذكر خبايا لأحداث ليست من مقصود كتب السّيرة</u>:** فكتب السّيرة إنّما جاءت لهدفٍ وهو حياة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وبالذّات مغازيه، ولم يكن من مقصودها الاهتمام بذكر الصّحابة الّذين عايشوا الحدث وأحوالهم إلّا بمقدار ما يخدم ذلك الحدث. ومن ذلك أنّنا نرى كتب الحديث لشدّة توخّيها الدّقّة تذكر لنا وتنقل الحالة النّفسيّة لبعض الصّحابة ومثاله بيان نفسيّة السّيّدة صفيّة رضي الله عنها في حجّة الوداع والّتي لم تذكرها كتب السّيرة بينما جاء ذلك عند البخاريّ: فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْفِرَ، فَرَأَى صَفِيَّةَ <u>عَلَى بَابِ خِبَائِهَا كَئِيبَةً حَزِينَةً</u>، لِأَنَّهَا حَاضَتْ، فَقَالَ: «عَقْرَى حَلْقَى – لُغَةٌ لِقُرَيْشٍ – إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا» ثُمَّ قَالَ: «أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ» – يَعْنِي الطَّوَافَ – قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «فَانفِرِي إِذًا»[1].

من الواضح أنّ زمن الحدث في حجّة الوداع، وأنّ السّيّدة صفيّة رضي الله عنها قد عانت نفسيًّا لخوفها أنْ يَفسُد أو يَبطُل حجّها بسبب حيضتها، فنقلت لنا الرّواية الحديثيّة الحالة النّفسيّة للسّيّدة صفيّة رضي الله عنها في ذلك الموقف ولم تشر له كتب السّيرة.

- **الوقوف على سنة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وتوضيح ملابساتٍ حولها: ومثاله قول ابن عبّاس: ليس بسنّة**

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ[2]، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَمَلَ بِالْبَيْتِ وَأَنّ ذَلِكَ سُنَّةٌ، قَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قُلْتُ: وَمَا صَدَقُوا، وَمَا كَذَبُوا، قَالَ: "صَدَقُوا، قَدْ رَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَبُوا، لَيْسَ بِسُنَّةٍ إِنّ قُرَيْشًا قَالَتْ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ دَعُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَمُوتُوا مَوْتَ النَّغَفِ[3] فَلَمَّا صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَجِيئُوا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَيُقِيمُوا بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قِبَلِ قُعَيْقِعَانِ[4] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «ارْمُلُوا بِالْبَيْتِ ثَلَاثًا»، وَلَيْسَ بِسُنَّةٍ، قُلْتُ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَنّ ذَلِكَ سُنَّةٌ، فَقَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قُلْتُ: مَا صَدَقُوا وَمَا كَذَبُوا؟ قَالَ: صَدَقُوا قَدْ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى بَعِيرِهِ، وَكَذَبُوا لَيْسَ بِسُنَّةٍ، كَانَ النَّاسُ لَا يُدْفَعُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُصْرَفُونَ عَنْهُ، فَطَافَ عَلَى بَعِيرٍ لِيَسْمَعُوا كَلَامَهُ وَلِيَرَوْا مَكَانَهُ وَلَا تَنَالُهُ أَيْدِيهِمْ"[5].

وفي رواية أحمد عن أبي الطُّفَيل قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَلَ بِالْبَيْتِ وَأَنّ ذَلِكَ سُنَّةٌ، فقَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قُلْتُ: وَمَا صَدَقُوا، وَكَذَبُوا، قَالَ: " صَدَقُوا، رَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبيت وَكَذَبُوا، لَيْسَ بِسُنَّةٍ إِنّ قُرَيْشًا قَالَتْ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ دَعُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَمُوتُوا مَوْتَ النَّغَفِ فَلَمَّا صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَقْدَمُوا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَيُقِيمُوا بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قِبَلِ قُعَيْقِعَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «ارْمُلُوا بِالْبَيْتِ ثَلَاثًا»، وَلَيْسَ بِسُنَّةٍ، قُلْتُ: وَيَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنّه طَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى بَعِيرٍ وَأَنّ ذَلِكَ سُنَّةٌ، فَقَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قُلْتُ: مَا صَدَقُوا وَكَذَبُوا؟ فقَالَ: صَدَقُوا قَدْ طَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى بَعِيرٍ، وَكَذَبُوا لَيْسَت بِسُنَّةٍ، كَانَ النَّاسُ لَا يُدْفَعُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُصْدَفُونَ عَنْهُ، فَطَافَ عَلَى بَعِيرٍ لِيَسْمَعُوا كَلَامَهُ وَلَا تَنَالُهُ أَيْدِيهِمْ، قلت: ويَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعى بين الصّفا والمروة،

(1) البخاري، صحيح البخاري، ك الطلاق، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} [البقرة: 228] «مِنَ الحَيْضِ وَالحَبَلِ» 37/6.

هو عامر بن واثلة أبو الطفيل الليثي، أدرك ثماني سنين من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، سكن الكوفة ثم مكة وأقام بها حتى مات وهو آخر من مات من جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. المزي، تهذيب الكمال، 14/ 79-81. (2)

(3) النَّغف دود يسقط من أنوف الغنم والإبل. ينظر لسان العرب
/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%BA%D9%81

(4) هو أحد جبلي مكة الذين يُطلق عليهم الأخشبين: قعيقعان وأبو قبيس. ابن حجر، فتح الباري، 76/1.

(5) السجستاني، سنن أبي داود، باب في الرمل، 177/2. والحديث صحيح.

وَأَنّ ذَلِكَ سُنَّةٌ ، قَالَ: صَدَقُوا، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ بِالْمَنَاسِكِ، عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَسْعَى فَسَابَقَهُ، فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ شَيْطَانٌ – قَالَ يُونُسُ: الشَّيْطَانُ – فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، قَالَ: قَدْ تَلَّهُ لِلجَبِينِ – قَالَ يُونُسُ: وَثَمَّ تَلَّهُ لِلجَبِينِ – وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ قَمِيصٌ أَبْيَضُ، وَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي ثَوْبٌ تُكَفِّنُنِي فِيهِ غَيْرُهُ، فَاخْلَعْهُ حَتَّى تُكَفِّنَنِي فِيهِ، فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ، فَنُودِيَ مِنْ خَلْفِهِ: ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: 105] فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ، فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَبْيَضَ أَقْرَنَ أَعْيَنَ، قَالَ ابن عَبَّاسٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَتْبَعُ ذَلِكَ الضَّرْبَ مِنَ الكِبَاشِ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى الْجَمْرَةِ الْقُصْوَى، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مِنًى قَالَ: هَذَا مِنًى – قَالَ يُونُسُ: هَذَا مُنَاخُ النَّاسِ – ثُمَّ أَتَى بِهِ جَمْعًا، فَقَالَ: هَذَا الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى عَرَفَةَ، فَقَالَ ابن عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي لِمَ سُمِّيَتْ عَرَفَةَ؟ قُلْتُ: «لَا». قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: عَرَفْتَ – قَالَ يُونُسُ: هَلْ عَرَفْتَ؟ – قَالَ: نَعَمْ. قَالَ ابن عَبَّاسٍ: فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَتْ عَرَفَةَ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرِي كَيْفَ كَانَتِ التَّلْبِيَةُ؟ قُلْتُ: وَكَيْفَ كَانَتْ؟ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، خَفَضَتْ لَهُ الْجِبَالُ رُءُوسَهَا، وَرُفِعَتْ لَهُ الْقُرَى، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ"[1].

- **تحديد زمن النّزول للآيات وهذا كثير جدًّا في بابه تحديد وقت النّزول وسبب النّزول لبعض الآيات**

ومثاله ما جاء عَنْ أنس قَالَ: أُنزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرْجِعَهُ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ مَاذَا يُفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يُفْعَلُ بِنَا، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، حَتَّى بَلَغَ، ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2] وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَالَ كَعْبُ بن عُجْرَةَ[3]: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَفِيَّ أُنزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَإِيَّايَ عَنَى بِهَا ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحُدَيْبِيَةِ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ وَقَدْ حَصَرَنَا الْمُشْرِكُونَ..الحديث[4].

وعَنْ أنس، "أَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَصْحَابُهُ مُخَالِطُونَ الْحُزْنَ وَالْكَآبَةَ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنَاسِكِهِمْ، وَنَحَرُوا الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ".. الحديث[5]

- **متابعة بعض الأحداث زمنيًّا في الرّوايات الحديثيّة وخلوّ كتب السّيرة من ذلك:**

ومثاله: عدم معرفتهم بشجرة البيعة العام التّالي للصّلح، فقد جاء عند البخاريّ عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رَجَعْنَا مِنَ العَامِ المُقْبِلِ فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ»، فَسَأَلْتُ نَافِعًا[6]: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعَهُمْ، عَلَى المَوْتِ؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ»[7].

(1) أحمد بن حنبل، المسند، 208/3. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح

(2) الترمذي، جامع الترمذي، باب ومن سورة الفتح، 239/5.

(3) هو الصحابي كعب بن عجرة الأنصاري، كان قد استأخر إسلامه ثم أسلم وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. المزي، تهذيب الكمال، 24/ 179-182.

(4) الترمذي، الجامع، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، 62/5. وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح

(5) أحمد بن حنبل، المسند، 19/ 369. قال شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(6) هو مولى عبد الله بن عمر، أصله من المغرب ويعد علماء الحديث أن أصح الأسانيد مالك، ن نافع، عن ابن عمر .المزي، تهذيب الكمال 29/298- 306.

(7) البخاري، صحيح البخاري، ك الجهاد والسير، باب: البيعة في الحرب ألا يفروا، 50/4

- **تتابع الرّوايات الحديثيّة بالتّزامن مع الفتن:**

فقد جاء في صحيح البخاريّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ قال: وَقَعَتِ الفِتْنَةُ الأُولَى – يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ – فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ وَقَعَتِ الفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ، – يَعْنِي الحَرَّةَ[1]– فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الحُدَيْبِيَةِ أَحَدًا، ثُمَّ وَقَعَتِ الثَّالِثَةُ، فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ[2]"[3].

- **النّسبة العدديّة لقبيلة ما في حدث ما**

فعَنْ عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ أَصْحَابُ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَثَلاَثَ مِائَةٍ، وَكَانتْ أَسْلَمُ، ثُمْنَ المُهَاجِرِينَ"[4].

- **شرح أقوالٍ وتوضيح التباسٍ**

فعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: إِنّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنّ ابْنَ عُمَرَ، أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِن عُمَرُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى فَرَسٍ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الأَنصَارِ، يَأْتِي بِهِ لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَايِعُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، وَعُمَرُ لاَ يَدْرِي بِذَلِكَ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الفَرَسِ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ، وَعُمَرُ يَسْتَلْئِمُ لِلْقِتَالِ، فَأَخْبَرَهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، قَالَ: فَانطَلَقَ، فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهِيَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنّ ابْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ"[5].

- **من فوائد الرّوايات للسّيرة معرفة الأقران ومثاله:**

ما جاء عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[6]. فتبيّن أنّ أسامة والحسن رضي الله عنهما متقاربان عمريًا.

أمّا **معيقات التّرتيب الزّمنيّ للحديث**، فأبرز هذه المعيقات ضخامة حجم وعدد المرويات الحديثيّة ممّا يجعل الأمر يحتاج إلى جهودٍ متضافرةٍ وأعدادٍ وفيرةٍ بل لعمل مؤسّساتٍ وليس أفراد.

كما أنّ من المعيقات ضرورة الرّجوع إلى كتبٍ من فنونٍ مختلفةٍ لضبط الحدث زمنيًّا مثل كتب الرّجال والصّحابة للوقوف على زمن إسلام الصّحابيّ ومتى هاجر أو سافر ومتى توفّي، وكذا إلى كتب الشّروحات لاحتوائها على مادةٍ وفيرةٍ وكتبٍ لم تعد موجودة بيننا وفيها من المعلومات ما يعين على التّرتيب الزّمنيّ.

كما أنّ من المعيقات عدم القدرة على تمييز مرسل الصّحابيّ من رواية الصّحابيّ نفسه للحديث.

ومن أبرز المعيقات غياب القرائن في عدد جيّدٍ من المرويّات مما يجعل عملية توطينها زمنيًّا عسيرةً جدًّا.

الخاتمة:

يعدّ هذا البحث مدخلًا لباب ترتيب الأحاديث النّبويّة زمنيًّا والفوائد الّتي يمكن أنْ نجنيها منه وكذلك المناهج الّتي يمكننا اعتمادها لتلك المهمّة. وقد خلص الباحث إلى أنّه ليس المطلوب هو ترتيبٌ زمنيّ باليوم أو الشّهر أو السّنة فهذا متعسِّر غالبًا، إلّا أنّنا يمكننا القيام بترتيب عامٍّ مستخدمين ما ذكره البحث من قرائن لتزويد السّيرة بأحداث أو تفصيلاتٍ لم تشتمل عليها كتب السّيرة أو تحديد أماكن وأزمان وشخصياتٍ لم تحدّد تبعًا لدقّة الرّواية الحديثيّة.

(1) الحرَّة هي أرض ذات حجارة سود والمراد يوم الحرَّة وهو اسم وقعة كانت بحرَّة المدينة في خلافة يزيد بن معاوية. ابن حجر، فتح الباري، 104/1.

(2) طَبَاخ: أي قوّة وقد يستعمل في غيرها يُقال لا طباخ لفلان أي لا عقل أو لا خير. ابن حجر، فتح الباري، 1/ 149.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ك المغازي، باب (دون اسم أي ترجمة مهملة)، 86/5.

(4) البخاري، صحيح البخاري، ك المغازي، باب غزوة الحديبية، 123/5.

(5) البخاري، صحيح البخاري، ك المغازي، باب غزوة الحديبية، 128/5.

(6) البخاري، صحيح البخاري، ك الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، 8/8.

وتبيّن أنّ أهمّ المعيقات في ذلك هو مرسل الصّحابيّ الّذي يمنعنا –إنْ خلا الحديث من أيّ مؤشّرٍ زمنيٍّ– من معرفة متى صدر هذا الحديث.

وقد ظهر أنّ هناك مادةٌ طيبةٌ لتزويد السّيرة من كتب الحديث.

النّتائج والتّوصيات

– تحتاج الجدولة الزّمنيّة للأحاديث جهدًا مؤسّسيًّا ضخمًا، لضخامة المادة الحديثيّة الموجودة في أمّهات الكتب الحديثيّة. وما عمل الباحث هنا إلّا مدخلًا لهذا التّرتيب.

– ينبغي تخريج الحديث المراد ترتيبه زمنيًّا قبل البدء بذلك لأنّ الرّوايات الأخرى تساعد في إعطاء مؤشّراتٍ أخرى للتّحديد.

– الأحاديث الّتي **لا يمكن تحديد وقتها** إلّا من خلال زمن إسلام الصّحابيّ الرّاوي يغلب عليها التّقعيد العامّ، وهذه فائدةٌ جوهريةٌ أعتقد أنّها مقصودةٌ لذاتها، حتّى لا يُقيّد القارئ لها بحالٍ أو زمنٍ أو حدثٍ بل هي مطلقةٌ لا تحدّد بزمنٍ أو حالٍ أو مكانٍ أو شخصٍ أو حدثٍ.

– ما جاء به الحديث النّبويّ من قواعد وضوابط وأخلاق وآدابٍ وتشريعاتٍ هي في غالبها المطلق يصلح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأناسٍ.

– يمكن الاستعانة بقرائن لتحديد زمن الحديث من مثل: كتب تراجم الصّحابة، كتب التّخريج، كتب الشّروح الحديثيّة.

أمّا أهمّ التّوصيات فضرورة توجيه دراسات جمعيّة بحثيّة مؤسّسيّة لمحاولة ترتيب الأحاديث زمنيًّا للوقوف على العديد من الفوائد، خصوصًا إذا توسّع العمل ليشمل المسانيد كمسند أحمد والمعاجم كمعجم الطّبرانيّ الكبير وما شابههما، ممّا يثري المادة المعرفيّة في السّيرة النّبويّة بالذّات، ويوقفنا على استخدامات السّلف الصّالح لهذه الأحاديث.

والله الموفّق لكلّ خيرٍ

المصادر والمراجع

ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم (1415هـ/1994م). *أسد الغابة في معرفة الصّحابة*. تحقيق: عليّ محمّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة.

البخاريّ، محمّد بن إسماعيل (1422هـ). *صحيح البخاريّ*. تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، ط1، مصر: دار طوق النّجاة.

البخاريّ، محمّد بن إسماعيل(1407هـ/1987م). *الجامع الصّحيح المختصر*. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط3)، بيروت: دار ابن كثير.

التّرمذيّ، محمّد بن عيسى (1998م). *جامع التّرمذيّ*. تحقيق: بشّار عوّاد معروف. (د. ط) بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.

التّرمذيّ، محمّد بن عيسى (د. ت). *الجامع الصّحيح سنن التّرمذيّ*. تحقيق: أحمد محمّد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.

الجوابي، محمّد طاهر. (1986م). *جهود المحدّثين في نقد متن الحديث النّبويّ الشّريف*. تونس: مؤسّسات عبد الكريم عبد الله.

الحربيّ، عاتق بن غيث. (د. ت). *المعالم الجغرافيّة الواردة في السّيرة النّبويّة*. من كتب المكتبة الشّاملة.

الحلبيّ، عليّ بن إبراهيم. (1427هـ). *السّيرة الحلبيّة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)*. ط2، بيروت: دار الكتب العلميّة.

ابن حنبل، أحمد. *المسند*. (1995م). تحقيق: أحمد محمّد شاكر، ط1، القاهرة: دار الحديث.

ابن حنبل، أحمد. *المسند*. (2001م). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، بيروت: مؤسّسة الرّسالة.

الخطّابيّ، حمد بن محمّد (ت:388هـ). *أعلام الحديث*. تحقيق: محمّد بن سعد آل سعود، ط1، جامعة القرى: مركز البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلاميّ، 1988م.

الخطيب، محمّد عجّاج (2001م). *لمحات في المكتبة والبحث والمصادر*. ط19. بيروت: مؤسّسة الرّسالة.

ابن خياط، خليفة بن خياط (د. ت). *تاريخ خليفة بن خياط*. تحقيق: د. أكرم ضياء العمري. (ط2). بيروت–دمشق: دار القلم، مؤسسة الرّسالة.

ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن (د. ت). *الاشتقاق*. تحقيق: عبدالسّلام محمّد هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الدّينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (1397هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: د. عبد الله الجبوري. ط1. بغداد: مطبعة العاني.

السّجستانيّ، أبو داود سليمان بن الأشعث (1430هـ/2009 م). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، ط1. بيروت: دار الرّسالة العالميّة.

ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع (1968م). *الطّبقات الكبرى*. تحقيق: إحسان عبّاس، ط1، بيروت: دار صادر.

ابن سيد النّاس، محمّد بن محمّد. 1993م. *عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير*. تحقيق: إبراهيم محمّد رمضان، ط1، بيروت: دار القلم.

الشّامي، محمّد بن يوسف الصّالحيّ. (1993م). *سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد*. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوض. ط1. لبنان: دار الكتب العلميّة.

الشّيبانيّ، مجد الدّين النّشابيّ الكاتب (د. ت). *المذاكرة في ألقاب الشّعراء*. من كتب المكتبة الشّاملة.

أبو طالب، عبدالهادي، (د. ت). *معجم تصحيح لغة الأعلام العربيّ*. موقع المكتبة الشاملة، قسم علوم اللّغة والمعاجم.

الطبراني، سليمان بن أحمد (1996م). *المعجم الكبير*. عائشة عبد القادر جودت جبر، الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: ياسر الشمالي.

الطّبريّ، محمّد بن جرير (1387هـ). *تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك، وصلة تاريخ الطّبريّ*. (ط2). بيروت: دار التّراث.

ابن عاشور، محمّد الطّاهر التّونسيّ (1984م)، *التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*. (د. ط). تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر.

ابن عبد البرّ. 1412 هـ – 1992م. *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، ط1، بيروت: دار الجيل.

العسقلانيّ، ابن حجر(1379هـ)، *فتح الباري شرح صحيح البخاريّ*، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه: محبّ الدّين الخطيب. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

العسقلانيّ، ابن حجر (، 1415هـ)، *الإصابة في تمييز الصّحابة*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة.

العسقلانيّ، ابن حجر (1986م)، *تقريب التّهذيب*، تحقيق: محمّد عوامة. ط1. سوريّا: دار الرّشيد.

العكايلة، سلطان. (2013م). *شاهد العيان وأثره في الرّوايات التّاريخيّة*، مجلّة دراسات، الجامعة الأردنيّة، المجلّد 40، العدد2، ص600-616.

القزويني، ابن ماجه (1430هـ/ 2009م)، *سنن ابن ماجه*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله. ط1. بيروت: دار الرّسالة العالميّة.

القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحقّ. 1412هـ. *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*. ط1. بيروت: دار الجيل.

المزّي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجّاج (1980م)، *تهذيب الكمال في أسماء الرّجال*، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف. ط1. بيروت: مؤسّسة الرّسالة.

النّووي، محييّ الدّين يحيى بن شرف (1392هـ)، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.

النّيسابوريّ، مسلم بن الحجّاج (د. ت)، صحيح مسلم، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، (د. ط). بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.

ابن هشام، عبد الملك (،1375هـ/ 1955م). *السّيرة النّبويّة لابن هشام*، تحقيق: مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشّلبيّ. ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده.

الواقديّ، محمّد بن عمر (1989/1409). *كتاب المغازي*، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، بيروت: دار الأعلمي.